WWW.SABAHELKHEYR.COM

البناء
صباح الخير
قوميـــــــــة اجتماعيـــــــــة

العدد 206 / 6 / تشرين الثاني/ 2026

إلى القراء الاعزاء: بالامكان قراءة مقالات المجلة عبررابطين الاحمر للدخول الى ال pdf والازرق إلى موقع المجلة.



في هذا العدد

الافتتاحية

ما الفرق بين الثور الابيض والثور الأسود؟ ـ سعادة مصطفى ارشيد

رابط الافتتاحية على موقع المجلة

صوت سعاده

وعد بلفور

الرابط على موقع المجلة

الأخبار الحزبية

عكار تجدد العهد للنهضة... لقاء المسؤولية وإرادة الوحدة

رابط الافتتاحية على موقع المجلة

صالون فضيلة واصف فتال... وفاء للنهضة ومنبر للفكر

رابط الافتتاحية على موقع المجلة

سياسة

العالم في طريقه الى التحول ـ غسان عبدالخالق

رابط المقال على موقع المجلة

انتفاضات «القارّة العجوز» المتنقّلة والملوّنة.. ـ نظام مارديني

رابط المقال على موقع المجلة

سوريا: أرض محتلة ـ سومر الفيصل

رابط المقال على موقع المجلة

تقرير

من الفن السابع إلى السياسة ـ لينا شلهوب

رابط المقال على موقع المجلة

حجر الزاوية

الهشاشة والهلع ـ نجيب نصير

رابط المقال على موقع المجلة

مجتمع

سوريا الجديدة تحذف اسم الكواكبي من المناهج التربوية ـ مروة جردي

رابط المقال على موقع المجلة

رأي

أزمة الحزب السوري القومي الاجتماعي: ـ د. نبيلة غصن

رابط المقال على موقع المجلة

ثقافة

التجدد الروحي: من الاستعداد لتغيير د. ميلاد سبعلي

رابط المقال على موقع المجلة

الغاية العظمى... ـ د. ادمون ملحم

رابط المقال على موقع المجلة

من كان آشوربانيبال، ـ أنطوان يزبك

رابط المقال على موقع المجلة

كتاب

كتاب د. كريم حداد بالفرنسية حول الوحدة الزمنية ـ محمود شريح

رابط المقال على موقع المجلة

رئيس التحرير: كوكب معلوف الاخراج الفني: عائده سلامه

للتواصل:Sabahelkheyrnews@hotmail.com

ما الفرق بين الثور الابيض والثور الأسود؟

سعادة مصطفى ارشيد ـ جنين ـ فلسطين المحتلة



الافتتاحية

على الرغم من أن بنيامين نتنياهو قد حازت كتلته البرلمانية على عدد اكبر من المقاعد في الهيئة التشريعية الإسرائيلية من تلك التي حصل عليها خصمه إلا أن «الرئيس الإسرائيلي» هرتسوغ يميل إلى تكليف غابي ايزنغوت بتشكيل الحكومة مفترضا أن الكتلة البرلمانية من الفلسطينيين وهي الكتلة المرجحة قد تقبل بهذا الرجل فيما هي ترفض بشكل قاطع منحها الثقة لنتنياهو بكل الأحوال، ولا أخبار تتوارد حتى الآن فيما اذا كانت هذه الكتلة المرجحة ستفرض على ايزنغوت وقف حرب الإبادة على غزة أو وقف العدوان الاستيطاني المتوحش في الضفة الغربية، مع انه من المستبعد انه سيقبل بمثل هذه الشروط التي ستجعله يخسر بعض اهم أركانه أمثال ليبرمان ونفتالي بينيت.

هنا يطرح السؤال **ما الفرق بين حكومة برئاسة نتنياهو أو حكومة برئاسة ايزنغوت** وبماذا تختلف برامج الرجلين وبرامج حلفاء كل منهما؟

يتمحور الخلاف بينهما حول مسائل تتعلق بدولة الاحتلال وأسلوبي إدارتهما للشؤون العامة في مجتمعها مثل التعديلات القضائية التي فرضها نتنياهو وافقد بها السلطة القضائية استقلاليتها وجعلها تابعة للسلطة التنفيذية، وهناك **خلاف آخر حول تجنيد الحريديم** وهم فرق يهودية متدينة معفاة من الخدمة الإلزامية في الجيش وتمثل جمهورا عدديا واسعا عاطلا عن العمل والإنتاج يلتهم مقدرات الدولة والرعاية الصحية وصناديق البطالة ويريد نتنياهو إرضائهم بإبقاء الوضع على حاله فيما يريد التحالف الآخر إجبارهم على الالتزام بالتجنيد والخدمة الإلزامية شان أي مواطن آخر.

على الصعيد الدبلوماسي فان نتنياهو يعتمد أساساً على تحالفه مع دونالد ترامب ومكتفيا به ولا يتورع عن اللجوء إلى أساليب صدامية مع عواصم الغرب الأخرى طالما يتمتع بدعم البيت الأبيض وإدارته الجمهورية، فيما يرى الفريق الآخر أن التواصل الدبلوماسي مع العالم وخاصة في أوروبا الغربية مسالة مهمة وكذلك ضرورة التعاون مع أوروبا في السياسات الإقليمية والأمنية ويرى أيضاً أسلوب نتنياهو قد أضرّ بمكانة إسرائيل الدولية وسمعتها مما سيكون له أثره على المدى البعيد.

ويرى ايزنغوت وحلفائه أن عليهم تحميل نتنياهو مسؤولية الإخفاق صبيحة السابع من تشرين أول 2023 كما في إدارة الحرب التي تلتها ويطالبون بلجنة تحقيق رسمية مستقلة لبحث هذا الإخفاق وتحديد المسؤولية عنه.

عند النظر إلى كل ما تقدم نرى أنها جميعها مسائل تتعلق بالشؤون الإسرائيلية ولا علاقه لنا بها لا من قريب ولا من بعيد، أما ما لنا علاقة به فنجد أن بين الفريقين مقدار كبير من التطابق في البرامج وان اختلف الأسلوب بعض الشيء، **فكلاهما يرفض رفضا قاطعا قيام اي شكل من أشكال الدولة الفلسطينية غرب نهر الأردن وكلاهما متفق على ضرورة السيطرة العسكرية على الضفة الغربية** بضم معظمها، كلاهما متفق على أن الفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية وحتى في مناطق 48 هم فائض سكني يجب التخلص منه، وكلاهما متفقان على أن الضفة الغربية بأكملها هي ارض إسرائيل التي لا يمكن التخلي عنها، وكلاهما معني بتواصل الاستيطان وان اختلف الأسلوب الذي يرى نتنياهو، أن شكله الوحشي كان من شانه دعمه انتخابيا، وهكذا فهما شريكان في الأهداف المتعلقة بنا ومختلفان بما يتعلق في الشؤون المتعلقة بهم.

مما لا شك فيه أن جهود تشكيل الحكومة في تل أبيب ستتعثر وفي كل الأحوال ستتأخر عملية حصولها على ثقة برلمانية هذا أن تمت إذ ستبقى مسالة الحصول على نصاب البرلماني بالصوت الفلسطيني نقطة ضعفها في مجتمع يسير بتسارع نحو مزيد من العنف والتوحش والكراهية، إذ سيراها السواد الأعظم من المجتمع الاحتلالي إنها حكومة لا تعبر عن يهودية الدولة وتفتقد للمشروعية اليهودية الأمر الذي يؤكد أن الحياة السياسية في إسرائيل سوف تعاني من أكثر من مازق وأزمة.

هذه الأزمات تلتقي بثوابت أخرى في واشنطن التي خسر فيها ترامب أغلبيته البرلمانية وستكون العلاقة متوترة بين الكونغرس والبيت الأبيض فيما تهدد إدارة ترامب بالحرب على إيران أو على الأقل بعملية عسكرية واسعة تعادل حربا، وذلك بعد أن وصلت المفاوضات بين طهران وواشنطن إلى أماكن حرجة لم تعد تجدي في الخروج منها الوساطات القطرية، والعمانية، والباكستانية، وغيرها.

تتصاعد تهديدات الواردة من واشنطن وتل أبيب بما فيها تقارير عن استعمال السلاح النووي وعن توجيه ضربات غير مسبوقة لإيران فيما تتحرك ميليشيات مدعومة ومدربة من قبلهما لإثارة أزمات داخلية، **فيما تستعد الجبهة الداخلية في تل أبيب للحرب بفتح الملاجئ وإعلان حالة الطوارئ القصوى بالمستشفيات وكان هذه الأخبار يتم نشرها للتأكيد على أن الحرب قادمة لا ريب فيها.**

مقابل هذه التهديدات والتهويل- الذي قد يكون صحيحا، فان طهران تبدو رابطة الجأش وتنظر بواقعية إلى نتائج الانتخابات في تل أبيب وواشنطن ولا ترى فرقا بين هذا وذاك في كلا البلدين، وتبدي جاهزية لاحتمالات التصعيد، كما ترفض تقديم تنازلات في الملفات الجوهرية لا بل إنها تشترط رفع الحصار ووقف سياسة العقوبات والإفراج عن الأصول الإيرانية المجمدة قبل الجلوس والتباحث مع الأمريكان من نقطة الصفر حول الملفات الجوهرية.

فهل ترى واشنطن وتل أبيب أن تأزيم الوضع في مشرقنا يمثل مخرجا لهما من أزماتهما؟ ربما كان ذلك فهي طريقة معروفة في الهروب إلى الأمام أو الهروب من حفرة للوقوع في مستنقع.

احتمالات الحرب وارده، ولكن احتمالات تداركها في اللحظة الأخيرة وارد أيضاً.

صوت سعاده ـ وعد بلفور

«ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي، وسنبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، مع البيان الجلي بان لا يفعل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الان، ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى».

هذا هو الأساس الحقوقي الانترنسيوني للحركة اليهودية الرامية الى الاستيلاء على فلسطين في الدرجة الأولى وعلى سورية الجغرافية كلها تدريجياً.

أما الوجه الحقوقي في هذا التصريح فالصواب فيه ما أعلنه زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي في مذكرته المرفوعة الى الجمعية الأممية ورد به على اقتراحات البعثة الملكية البريطانية القائلة بتقسيم فلسطين والاعتراف بدولة يهودية فيها.

الوعد وعد سياسي لا حقوقي، فليس لبريطانيا أية حقوق في فلسطين تجيز لها أن تهب شعباً غريباً حقوقاً قومياً فيها، ولكن بريطانيا استندت في إجازة في الوعد المشؤوم على المخابرات والمفاوضات السياسية التي كانت دائرة بينها وبين حليفتها فرنسا وروسيا بصدد اقتسام تركة «الرجل المريض» الذي يعنون به تركيا.

وقد أدى هذا الوعد الى إراقة دماء كثيرة حتى الان. وهو سيكون سبباً في إراقة دماء كثيرة



جديدة إذا ظلت بريطانيا مصممة على تنفيذه، ففي سورية أمة قد تنبهت لوجودها وحقوقها لا يسهل ان تتنازل عن هذه الحقوق بناء على وعد قطعته دولة أجنبية لشعب غريب.

لا مشاحة في ان هذا الوعد جلب للشرق الأدنى مشاكل كان في غنى عنها وبديهي ان يكون للسياسة البريطانية فؤائد من اليهود واكتساب ولائهم. ولكن بريطانيا قد أثارت بهذا العمل قضية خطرة على نفوذها لان أمم الشرق الأدنى ستفكر ملياً في العملية الجارية الان في فلسطين بقصد تجريد شعب من أرضه واعطائه لشعب غريب لا حق له في هذه الأرض ولا وجه لفهم وجوده عليها الا بواسطة وعد بريطانيا الذي يتهجم على حق شعب له وحده السيادة على الأرض التي تكون وطنه.

جريدة النهضة 4 تشرين الثاني 1937

صوت سعادة

عكار تجدد العهد للنهضة... لقاء المسؤولية وإرادة الوحدة



ليست المرة الأولى التي يتداعى فيها القوميون الاجتماعيون في منفذية عكار إلى لقاء مسؤولي حزبهم، لكن هذا اللقاء حمل دلالات خاصة، في ظل ما شهدته صفوف الحزب مؤخراً من مخاض التغيير، وما يترقبه القوميون من مسار المرحلة المقبلة.

من متحدات عكار القريبة والبعيدة، حضر القوميون بلهفة صادقة، قاصدين عدبل، بلدة الشهداء والأبطال، ومنهم القادمون من حلبا البطلة بشهدائها والحصنية المقاومة بشهدائها وتكريت علي غازي طالب ومتحدات غيرها، للقاء رئيس الحزب الأمين عصام شاهين، وعميد الداخلية الرفيق نصير الرماح، وعميدة الإعلام الرفيقة أوغاريت دندش.

وكان في استقبال الوفد الأمين علي عز الدين، والمنفذ العام الرفيق نبيل الرفاعي وأعضاء هيئة المنفذية، قبل أن ينتقل الجميع إلى مديرية عدبل، حيث





استقبلتهم المديرية، بمديرها الرفيق رجاء دياب وهيئتها، وعميد الخارجية عادل بشارة في مشهد عكس أصالة الالتزام بالمؤسسات وحرارة الانتماء.

وشارك في اللقاء أعضاء المجلس الأعلى: الأمناء كوكب معلوف وأحمد الأيوبي وممتاز الجعم ووليد عازار

كانت المشهدية أكبر من لقاء حزبي في استعادة لصورة الحزب الحي، المتماسك بإرادة أبنائه، ورسالة واضحة بأن النهضة لا تضعف ما دام في صفوفها من يحملون عقيدتها ويؤمنون بمستقبلها.



عرضت السلطة التنفيذية، بوضوح ومسؤولية ومن دون مواربة، ما جرى وما يجري، ووضعت أمام الحاضرين ملامح الخطة الحزبية للمرحلة المقبلة. ثم فُتح باب الأسئلة والنقاش، فتعددت المداخلات، وتناولت مختلف القضايا، وأجاب رئيس الحزب والعمداء بروح المسؤولية والصراحة.

وكان لافتاً أن أسئلة الحاضرين ومداخلاتهم عكست إرادة صادقة للعمل، وتطلعاً واضحاً إلى الوحدة، ورغبة في تجاوز التشرذم واستعادة التراص الحزبي على قاعدة العقيدة والدستور والمؤسسات.

عكار لم تكن في هذا اللقاء تستمع إلى شرح عن أحوال الحزب فحسب، بل كانت تعلن استعدادها للمساهمة في نهوضه.

فالحزب لا يستعيد قوته بالخطابات، بل بوحدة إرادة القوميين، وبالمناقبية، وبالعمل المؤسسي المسؤول.

وقبل مغادرته قدم حضرة الرئيس دروعاً حزبية وكلف بزيارة اضرحة الشهداء لثلة من الامناء والرفقاء

صالون فضيلة واصف فتال...
وفاء للنهضة ومنبر للفكر



الأخبار الحزبية

استقبلت الرفيقة فضيلة واصف فتال، ابنة الراحل الأمين واصف فتال، في صالونها الأدبي، رئيس الحزب الأمين عصام شاهين، يرافقه عدد من الأمناء والرفقاء من منطقة الشمال.

عرض الرئيس مسار التغيير وأهدافه في بناء الحزب المترهل وتراص صفوفه، وتعزيز وحدته الروحية والمؤسسية امام نخبة من كوادر الحزب الفكرية والادبية والادارية حيث دار حوار صريح ومسؤول، أجاب خلاله عن أسئلة الحاضرين بكل أريحية ووضوح.

كما أعلن عزمه على القيام بزيارة الى منفذيات الشمال برفقة أعضاء مجلس العمد، تقديراً لمكانة منفذيات الشمال في الحزب ودورها النهضوي والثقافي.





وفي لفتة وفاء وتقدير، قدّم الرئيس للرفيقة فضيلة درعاً يحمل صورة الزعيم أنطون سعاده، من خشب الأرز.

وقد بادرت الرفيقة فضيلة إلى وضع صالونها بتصرف الحزب لاحتضان ندوات فكرية وثقافية وأدبية، وهي مبادرة رحّب بها الرئيس، لما تمثله من إسهام في إحياء الفعل الثقافي النهضوي.

سياسة

العالم في طريقه الى التحول

غسان عبدالخالق



العالم يبدو في طريقه للتحول المنهج، ان الفرط صوتي الترامبي الذي انهال على بلادنا وعلى جيرتها بإيران واليمن لم تخدم الأصوات التي صبت في صناديق الانتخابات الاميركية، هذا التحول صنعته غزة وجنوب لبنان كما طهران وصنعاء وقبل ان يدرك شهريار الصباح على من تبقى منا في ساح النضال مراجعة الأولويات التي يجب اعادة ترتيبها للمضي قدماً في الصراع.

المرحلة المقبلة لن تنتظر الكسالى، بل المبادرين والمنتجين وأصحاب النظرة الثاقبة لتلمس طريق يمكن لنا شقه وسط الخراب العظيم.

في الهوية: نبش التراث ما قبل التاريخ الجلي وما بعده بكامل تفاصيله، وتقديمه للمجتمع لتمتين الانتماء وتعيينه بوصفه علاقة عامودية أفقية تفاعل الإنسان مع الارض ومع نظرائه في الخلق والبيئة الطبيعية كما وصهر كل من نزل في البيئة من أصول وأقوام وإثنيات اقدمت غازية ام ناشدة للحياة.

النموذج القومي: لا يعقل ان يبقى طرح هذا المفهوم معلقا على ثقة القوم بأنفسهم ، بل يجب تدعيمه عبر الرابطة الاقتصادية التي قال عنها سعاده انها الرابطة الاولى ، فالناس لا تبحث فقط عن الأمان النفسي بل ايضا عن الامن المادي ،فنحن نتقول بالمدرحية إلا اننا ويمكن مرد ذلك لتأثرنا بالأديان والمذاهب كما والمقارعة التي حصلت مع الشيوعية ، اغفلنا البعد المادي الأمر الذي شرع للأفراد الاستفادة من العلاقات الحزبية لجني ما يجنوه

منها وانكرنا على المؤسسة الام فعل ذلك بمروحة حجج من عدم الاستقرار لأسباب نضالية إلى فشل النماذج التي قدمت ، ولم يتوقف الأمر على هذا البعد اي الاقتصاد ، بل حتى على العلاقة الثنائية بين الجنسين اذ ربطناها «بتابويات» المجتمع والدين ، فالمدرحية ليست احادية الاستهداف بل تشمل كل مناحي الحياة .

السياسة : بين فن الممكن وتحقيق الأغراض القومية ،وبين واقعية وبراغماتية الموقف ، تمارس السياسة اما لتنظيم المجتمع ذاته او لإرساء علاقة مع الامم الأخرى ، فالحرب والسلم يصبحان عمل سياسي بامتياز ، والحروب التي شنت علينا بهدف تطويعنا كمقدمة لنهب الخيرات والاستعباد قديمة الحصول منذ قورش حتى سقوط الخلافة في إسطنبول ، وكان التصدي لها في التاريخ الحديث يمكن ادراجه تحت بند الفعل الصبياني وتقليد النماذج التي استحدثها الغرب فيما يسمى بانقلابات موضة الأربعينات والخمسينات للقرن المنصرم فالفوضى الخلاقة التي شهدنا فصولها في مطلع هذا القرن ليست بجديدة بل هي استكمال للفوضى الانقلابية هنا استخدم العسكر الذي بمجمله تربى بكنف جيوش المستعمر وهناك استخدم الرأي العام الذي تنا تشته الأفكار الدينية والوضعية دون ان يحقق شيئا يذكر ، فلا استقرار سياسي ولا حريات ، ولا نموذج اقتصادي مريح ولا وحدة او تحرير للأرض ، فقام بتقليد النموذج الذي قام عندما استدعى اهل العروة الوثقى الغرب الاستعماري للتخلص من نير بني عثمان ، هكذا فعل ببغداد ودمشق واليوم في بيروت .

ان القراءة السياسية الصحيحة هي التي تؤدي لموقف سياسي سليم ، ان حرب المجتمع على ذاته هو ما يجب اعطاءه الأولوية لوقفه ومحو آثاره ، فدون وحدة المجتمع لا فلاح لاي منازلة مع الاعداء ودون تحقيق مصالح المجتمع لا يمكن إتمام وحدة ، فنحن لا نقارع مهاجرين يهود لفظهم الغرب في حقبة من حقبات الزمن بل نظام عالمي استخدم هؤلاء كما يستخدم اهل الايمان على مختلف مشاربهم ، الصهيومسيحية والصهيومحمدية لا تفرق كثيرا عن الصهيويهودية ،، هناك ضرورة قصوى اليوم لوقف تمدد الصهيواجتماعية التي تجتاحنا من كل حدب وصوب متكئة على فسيفساء لم نستطع لا نحن ولا الأنظمة التحررية التي قامت ان نجعل منها لوحة جميلة ونقدمها كرسالة كما ارادها زعيمنا والتي بسببها اسس الحزب السوري القومي الاجتماعي .

سياسة

انتفاضات «القارّة العجوز» المتنقّلة والملوّنة..

«كعب أخيل» يكشف ضعف أوروبا

نظام ماردِيني



تكشف الانتفاضات المتنقّلة بين دول الاتحاد الأوروبي عن هشاشة بنيوية قاتلة تختبئ خلف واجهات القوّة والقمع. فالمرتكزات الخمسة التي تضمن بقاء هذه الأنظمة، وهي الأجهزة الأمنية المتضخمة، والموارد المالية الريعية، والسرديات المضلّلة، والسيطرة الحكومية على أرزاق الناس، واستغلال النظام العالمي المفتوح هي «كعب أخيل» لهذه الأنظمة ومصدر ضعفها الأكبر بسبب ما تولّده من فساد وصراعات داخلية وبارا نويا دائمة.

ولكنّ ما يجري في أوروبا ليس مجرد تظاهرات طلاب أو مهاجرين بقدر ما إنه انعكاس طبيعي لسوء

العلاقة بين حكوماتها وشعوبها، التي وجدت أن أهم متطلبات الحياة فشلت الحكومات في توفيرها، وهي حقّ التعليم من جهة، وحرية التعبير عن الرأي من جهة ثانية. وهذا تجلى بوضوح في عمليات الاعتقال التي طالت المئات من الشباب المنتفض.

وتكتسب هذه الانتفاضات أهمية عند النظر إلى التحوّلات الديموغرافية المرتبطة بما يسمى بـ «جيل ألفا»، الذي يضمّ، وفق تصنيف مؤسّسة McCrindle البحثية، المولودين بين عامي 2010 و2024، ما يعني أنّ أكبر أفراده يبلغون نحو 16 عامًا خلال عام 2026. ورغم اختلاف المؤسسات البحثية بشأن الحدود الزمنية الدقيقة لهذا الجيل، فإنّ **وجود طلاب في هذه الفئة العمرية ضمن الحركات الاحتجاجية يتيح دراسة بدايات المشاركة المدنية لدى جيل نشأ في بيئة شديدة الارتباط بالتكنولوجيا الرقمية.**

وتأتي هذه الانتفاضات وسط تصاعد الاعتراضات على ارتفاع تكاليف المعيشة والسياسات التعليمية والتقشّف في عدد من الدول الأوروبية. وقد بدأت التحركات بمطالب لتحسين أوضاع التعليم، ثم اتّسعت لتشمل قضايا اقتصادية واجتماعية وسياسية.

وكانت الانتفاضات الاحتجاجية الطلابية قد انطلقت من الشارعين: الفرنسي والألباني، ولكن سرعان ما عبرت الحدود، واجتاحت إيطاليا وبلجيكا وألمانيا وألبانيا والبرتغال وإسبانيا، وربما تتمدّد وتتوسّع إلى دول أوروبية أخرى، وتتخذ طابعًا عنفيًّا غير مسبوق، وهذا مؤشّر خطير ونذير شؤم بالنسبة لأوروبا وعموم المنظومة السياسية والمجتمعية الغربية، التي بشّر عدد من كبار المفكرين والباحثين والساسة الغربيين قبل حوالي ثلاثين عامًا، بقرب تحقّق الانتصار الكبير لها، بعد مسيرة طويلة من «صراع الحضارات»، الذي نظّر له كثيرًا المفكر الأميركي صموئيل هنتنغتون، ليصل إلى «نهاية التاريخ»، التي تعاطى معها المفكر الياباني الأصل الأميركي الجنسية فرانسيس فوكوياما وكأنّها حتمية لا تقبل الجدل والنقاش، لا سيّما بعد حرب باردة ـ تخلّلتها

مراحل ساخنة مع المعسكر الرأسمالي الغربي، امتدّت حوالي أربعة عقود من الزمن.

اليوم، تحتاج دول الاتحاد الأوروبي لإجراء إصلاحات. لم يعد بإمكانها التفكير في قضايا التوظيف كما كان سابقًا، لأنها تعيش في ظلّ نظام اقتصادي معولم وها هو يمتدّ إلى سلطةٍ معرفية تدير حياتنا وهو الذكاء الاصطناعي. فمنذ تسعينيات القرن الماضي، دخل مليارا رجل وامرأة سوق العمل العالمي. وتجد بعض الشركات عمالة أرخص بكثير، وغالبًا ما تكون ماهرة، في دول مثل الهند أو الصين. لذا، إذا كان هناك شكّ في أوروبا، فذلك لأنّ العالم معقّد وصعب، وتفتقر الحكومات إلى الشجاعة لشرح ذلك أو لتنفيذ الإصلاحات اللازمة. وإذا لم تتجاوز أوروبا هذه الأزمة بمشروع قوي، فسوف تُهمَّش في التاريخ.

ولكن، أيًّا كانت محصلة الانتفاضات التي تحدث، فهي غير كافية، إن لم يكن هناك تغيير إيجابي حقيقي، إذ إن هذه الانتفاضات تتطلّب تغييرًا جذريًّا في بنية المجتمعات الأوروبية وتوجّهاتها الاستعمارية، ومع قيام هذه الانتفاضات ما زال الطريق طويلاً وشاقًّا أمام تحرّك المجتمعات الأوروبية لتستطيع أن تكرّس ثقافة التغيير عند القيام بانتفاضة ما، وخصوصًا في وقت تعمل آلة القتل الصهيوأميركية المهيمنة على إسقاط المنظومة الفكرية الإنسانية التي تخلق الثقافة والفكر، في عصر ثقافي ملون اختلّت فيه الديناميكيّة النفسية للجماهير في الخطاب والتفكير والنقد والذوق، ليصبح الأفراد داخل (كانتونات اجتماعية افتراضية) شديدة التلوّن رقميًّا تختلط الألوان المجتمعية فيها على لوحات سريعة التبدّل، قويّة التقلب في السلوك الفردي.

الانتفاضات المخملية الملوّنة مفهوم جديد ظهر في تسعينيات القرن العشرين، وبدأت مع بداية عهد جديد في مرحلة ما بعد الاشتراكية السوفيتية وتدشين مرحلة

النظام العالمي الجديد والعولمة، حيث حدثت سلسلة من الانتفاضات الملوّنة بتوجه ودعم أوروبي/ أميركي، وكان للملياردير اليهودي الأميركي جورج سورس الدور الأول في تلك الانتفاضات الملوّنة، خصوصًا وأنّ موقع «ويكيليكس» كان قد كشف دوره المشبوه، مشيرًا إلى أنه رئيس الظلّ للولايات المتحدة، وصانع سياسات، سواء في أميركا أو في أكثر من 100 دولة أخرى حول العالم، لفرض أجندة سياسية يؤمن بها ويحارب بكلّ قوّته من أجل فرضها، سواء في الداخل أو الخارج. ووفقًا لوثائق «ويكيليس» فإنّ لـ «سوروس» نفوذ كبير داخل البيت الأبيض وأيضًا الحزب الديمقراطي، من خلال عدّة مؤسسات يمتلكها مثل مجموعة الأزمات الدولية والمجتمع المفتوح والتقدّم وغيرها الكثير.

وبرز اسم الثورة الملوّنة، عندما استطاع المجتمع المدني في أوروبا الشرقية والوسطى من تنظيم اعتصامات سلمية للإطاحة بالأنظمة الشمولية التابعة للاتحاد السوفييتي السابق. وسُمّيت الثورة الناعمة، وذلك لعدم تلوّثها بالدم واستخدام العنف. وقد دعمت هذه التحركات مفهوم المجتمع المدني ووضّحت أهميته في رسم السياسات الخارجية والداخلية لهذه الشعوب، من دون حصرها في إطار حكومي، حتى أصبح دور المجتمع المدني كبيرًا من خلال الفعاليات السلمية.

وعند تحديد أهداف هذه الانتفاضات المتنقّلة بين العواصم والمدن الأوروبية لتحسين الأوضاع ومحاربة العنصرية، فإنّ كيفية تحفيز الناس وتحميلهم المسؤولية عن تحقيق النتيجة المرجوّة قد تكون الفارق بين النجاح والفشل. والمساءلة هي المفتاح، فلا يوجد طريق آخر للنجاح. وستساعد أهداف الشباب المنتفض على تحفيز التغيير السلوكي من خلال تعزيز المساءلة والشفافية من جهة، وتعزيز الشعور بالفخر والتقدير والقدرة التنافسيةِ وتغيير تصوّرات النتائج المرغوبة من جهة أخرى.

سياسة

سوريا: أرض محتلة وحكومة فاسدة وشعب مغيب

سومر الفيصل

عامان يمران على دخول سوريا في المرحلة الانتقالية التي كان يفترض أن تسير بسوريا إلى السلام والأمان الغائب عنها منذ 2011، ولكن يبدو ان مفهوم الانتقال لم يكن يخص السلطة نهائياً فلم يتغير شيء على مستوى ممارسات الحكومة الحالية عن سابقتها من عهد الأسد، من فساد وأتاوات وتشبيح، ولكن هذه المرة بطريقة شرعية «على سنة الله ورسوله» فلا يجوز لأحد أن يعلق أو ينطق أو يعترض، القبضة الأمنية عينها، ولكنها هذه المرة بتهمة عميل للنظام.



الفنان همام السيد ـ الشام

عامان على خروج «حامي حدود اسرائيل» من سلطة دمشق وفعلاً يبدو عليهم صدق هذا الادعاء لأنه من لحظة خروجه تغيرت حدود الكيان بشكل واضح وملحوظ وخاصة على الجانب السوري بعد احتلال درعا والقنيطرة وأجزاء من رفيق دمشق والسعي لفتح معبر إلى السويداء تمهيداً لضمها لاحقاً!!!

عامان ثبتت فيهما الكرامة السورية عند كل من يريد أن يجرب كيف يستبيح بلد ما!، حتى الأردن الذي لم يدخل حرب منذ جدهم الشريف حسين صعد طيرانهم ليستبيح سيادة سوريا الغير موجودة أصلاً ويقصف أراضيها ويقتل من يراهم مخططون ضده ودون أي اعتبار لوجود دولة يفترض أن تكون هي المسؤولة وفوق كل ذلك جاء بها أسياد الطرفين (الجولاني والملك حسين).

عامان وسوريا تشهد أمورا لم تشهدها في ظل حكم البعث وكما يقول المؤثرون التابعون لسلطة الجولاني – «الله لا يوفقه

كان حارمنا»- وهذه حقيقة فقد كان الأسد «الله لا يوفقه» يحرم السوريين عموماً والأمويين الجولانيين خصوصاً مشاهدة مدنهم وقراهم وأهلهم يغرقون في السيول وحكومة الأسد كانت تحرمهم من مشاهدة الطرقات العامة بين المحافظات تدمر بفعل السيول والبنى التحتية تهوي بلحظة، كان حارمنا نشوف الموت المرعب تحت هدير مياه السيول والحجارة وصنع شبكة صرف مرعبة حرمتنا كل هذه المتع العظيمة، ولكن الحمد لله رزقنا الله حكومة انتقالية نقلتنا من دولة فيها 14 محافظة إلى «دولة» قد لا يكون فيها 10 محافظات لاحقاً !!!

واليوم حتماً خسرت الدولة درعا والقنيطرة وجزء من ريف دمشق وحتى الان السويداء وبخضوع تام انتقلت إلى سلطة الكيان المحتل المحمية حدوده سابقاً من نظام الأسد، ومن فضل حكومتنا الانتقالية العظيمة لم نحرم مشاهدة مهرجانات الفساد لدفع الأموال التي يفترض أنها بالمليارات والتي خصصت لاعادة بناء الدولة وأساس وجود أي دولة وأي وطن هو البنى التحتية، ويبدو أن الـ«تحتية» فهمها مسؤولوا الجولاني على ما هو تحت مستوى سياراتهم ومواكبهم ولكن الطرقات لا تهم والسلامة ليست أولوية والحياة قضاء وقدر وعلى الله الاتكال ومن يعترض يخالف شرع الله وقدره.

ما تعيشه سورية اليوم ليس حالة انتقال سياسي نهائياً، بل هي انتقال من عصر إلى عصر ومن زمن الحياة والحداثة إلى زمن التخلف والتعصب والتفكك السياسي والاجتماعي والبنيوي للمجتمع السوري الذي رآى الفراعنة أخيراً يلبسون ثيابهم وستروا عورتهم في مناهج الانتقال الى التطرف، شاهدنا كيف تقوم الساعة على معلمة فقط لأنها غير محجبة لينتقل الطالب السوري من طالب إلى مشروع مجاهد يفجر أهله إذا لزم الأمر وأوصى ولي الأمر الانتقالي الشرعي .

ما تعيشه سوريا كارثة انسانية وسياسية وحالة انتقال حقيقي من حقيقتها كأصل حضاري ومجموعة اجتماعية متميزة إلى أصل تشددي متخلف يختلط فيهم أصول الجهاديين الذين تدعو هند قبوات إلى تجنيس أولادهم وجهزت تقريباً القانون الذي يمنحهم الجنسية حتى في ظل غياب أوراق الأب أو حتى معرفة من هو أصلاً، فما الذي يمنع بتجنيس ،ضمن القائمة ،بعض اليهود ليأخذوا لاحقاً محافظات أخرى بجنسية سورية وبدون الحاجة للحرب أو حتى الحاجة للحكومات الانتقالية .

تقرير

من الفن السابع إلى السياسة

انقلاب في المواقف لصالح فلسطين

لينا شلهوب



في ظل الحرب المستمرة في غزة، تتزايد الدعوات لمقاطعة المؤسسات والمنظمات المرتبطة بالكيان الصهيوني داخل الأوساط الفنية والثقافية في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية، إلى جانب التعبير عن التضامن مع الشعب الفلسطيني. ويوماً بعد يوم ينضم فنانون لا سيما من الوسط الهوليودي إلى حملات وحركات منظمة لمقاطعة كل ما له صلة ب "إسرائيل»، مضحين بالكثير من فرص العمل والعقود الفنية التي تعود عليهم بالمبالغ الطائلة، فيما لا نشهد أي موقف في هذا الإطار من جانب الفنانين العرب بشكل عام، في ما يبدو أن العدوى لا تطالهم فلا يحركون ساكناً.

ممثلون، صنّاع أفلام ومؤسسات سينمائية وثقافية أدركت حقيقة إجرام العدو الصهيوني، مما دفع أكثر من 4000 ممثل ومتخصص في صناعة السينما إلى توقيع تعهدٍ يؤكدون فيه أنهم لن يعملوا مع مؤسسات سينمائية "إسرائيلية" يصفونها بأنها "متواطئة" في انتهاكات لحقوق الإنسان ضد الفلسطينيين. لم يمر هذا التعهد مرور الكرام، بل أثار جدلاً داخل صناعة السينما العالمية، إذ يصفه المؤيدون بأنه شكل من أشكال الضغط الثقافي، بينما يتساءل المعارضون عما إذا كانت مقاطعة المؤسسات تمثل استجابةً ملائمة. ومن بين الموقعين عدد من الممثلين وصنّاع الأفلام البارزين، مما يجعل هذا التعهد تطوراً مهماً في النقاش الدائر حول الفن والسياسة والصراع "الإسرائيلي" الفلسطيني.

في هذا الإطار انضم كل من النجوم كيت بلانشيت، سوزان ساراندون، وجون كوزاك علناً إلى حركة أوسع تضم فنانين دوليين يعربون عن قلقهم إزاء معاملة الفلسطينيين في غزة، ويدعون إلى إنهاء الروابط الثقافية والمؤسساتية مع «إسرائيل». ويتمتع هؤلاء الثلاثة بسجل موثق من المناصرة بشأن القضية الفلسطينية ومعارضة الحرب على قطاع غزة بدءاً من التوقيع على رسائل مفتوحة تطالب بوقف إطلاق النار، وصولاً إلى دعم النداءات الإنسانية. هذه المشاركة تضعهم ضمن قائمة متزايدة من الشخصيات في هوليوود التي اتخذت مواقف علنية مماثلة منذ اندلاع الحرب. كذلك انضم هؤلاء بشكل منفصل إلى عرائض وحملات أوسع نطاقاً، وليس عبر بيان واحد مشترك.

على خط آخر **أعلن ثلاثة ممثلين ارتبطت أسماؤهم بشخصيات الأبطال الخارقين الشهيرة «سبايدرمان»، «باتمان» و«هالك» عن مقاطعتهم ل«إسرائيل"** بشكل رسمي، مما أثار ردود فعل واسعة النطاق عبر منصات التواصل الاجتماعي.

وفي موضوع مسابقة الأغنية الأوروبية "يوروفيجن" أعلنت هولندا رسمياً مقاطعتها وعدم مشاركتها في المسابقة لعام 2027 كخطوة احتجاجية مباشرة على مشاركة "إسرائيل" في المسابقة في ظل استمرار الحرب على قطاع غزة، لتواصل بذلك غيابها للعام الثاني على التوالي عن هذه المسابقة بعد مقاطعتها لنسخة عام 2026. وتكتسب مشاركة هولندا أهمية تاريخية باعتبارها واحدة من الدول المؤسسة للمسابقة، والتي شاركت فيها منذ أول بث عام 1956. وبذلك، تنضم هولندا إلى

إيرلندا، التي أعلنت في أيلول الماضي أنها لن تشارك في المسابقة المقرر إقامتها في بلغاريا. وكانت شبكة البث الإيرلندية قد أكدت في بيان رسمي أن موقفها من المشاركة «بقي من دون تغيير»، وذلك على خلفية القتال في قطاع غزة والأزمة الإنسانية في المنطقة. **ويُعدّ الانسحاب الهولندي الأحدث في سلسلة مقاطعات أعلنتها دول غير راضية عن مشاركة «إسرائيل» في المسابقة الموسيقية السنوية.** وكان منظمو المسابقة أعلنوا في آب الماضي عدم السماح لأي دولة منخرطة في نزاع مسلح باستضافتها. وفي الإطار عينه أيّد مدير هيئة الإذاعة والتلفزيون الإسبانية المقاطعة. وبدورها أعلنت هيئة البث العامة التشيكية انسحابها من المسابقة.

إذا كانت الأمثلة والوقائع على الصعيد الفني تطول، فإن المشهد الدبلوماسي في المقابل يشهد تحولاً مهماً، **إذ أكدت كل من إسبانيا وفرنسا وأيرلندا وبولندا وآيسلندا وفنلندا وكندا والنرويج والسويد والبرتغال والدنمارك والمملكة المتحدة، بشكل مشترك، عزمها على فرض قيود وطنية، أو دعم قيود أوروبية منسقة، على التجارة المرتبطة بالمستوطنات "الإسرائيلية" في الضفة الغربية المحتلة.**

تكتسب هذه الخطوة أهميتها من كون المستوطنات تُعتبر، على نطاق واسع، غير قانونية بموجب القانون الدولي. في عام 2024، أكدت محكمة العدل الدولية أنه يتعين على الدول عدم الاعتراف بشرعية الوضع الناجم عن الوجود غير القانوني ل"إسرائيل" في الأراضي الفلسطينية المحتلة، كما يجب عليها الامتناع عن تقديم أي مساعدة من شأنها الإبقاء على هذا الوضع.

على مدى عقود، أصدرت الحكومات بيانات تدين توسيع المستوطنات، بينما سمحت في الوقت ذاته باستمرار العلاقات التجارية المرتبطة بتلك المستوطنات. ومن شأن فرض قيود تجارية أن يبدأ في ردم الفجوة بين الخطاب الدبلوماسي والعمل الفعلي الجاد.

من هنا لا تتوقع الشركات التي تعمل في المستوطنات غير القانونية -أو تستفيد منها- استمرار التجارة الدولية على حالها المعتاد. وإذا كانت التدابير المحددة والجداول الزمنية لتنفيذها تختلف من بلد إلى آخر، فإن بعض الحكومات الأوروبية اتخذت بالفعل خطوات تتجاوز ما اتخذته حكومات أخرى.

حجر الزاوية

الهشاشة والهلع

نجيب نصير



الفنان عمر البدور - الأردن

من الملاحظ، درسياً أو إحصائياً، إنه كلما ازدادت هشاشة الأفكار، كلما ارتفعت مؤشرات الهلع المؤدي إلى العنف. هذا التناسب الطردي، يحيلنا إلى مؤشرات تقيس الواقع وما يجري فيه من أحداث تتباعد عن القيم العليا للبشرية وتفارقها، بسبب التفريق بين الحق والصواب، وهنا الصدمة الكبرى، فالحق هو شأن مختلف عن الصواب، بحيث يلعب العنف في المساحة الفاصلة بينهما، لردم الضعف في صوابية الحق، هذه الصوابية النسبية، المتمثلة، بعدم تحمل الأفكار المختلفة والمخالفة، وعدم المقدرة على مراجعة الذات في مواجهة

أدلة تنقض هذا الحق أو تقلص من صلاحيات إجرائياته، وبالتالي التجاوز عن الحقيقة، وهذا دخول خطر في منطقة الهشاشة الفكرية والتفكيرية، إن كان من ناحية الدسترة وديمومة الخضوع لها، أو من ناحية التلاعب في اشتقاق القوانين من الدساتير، التي تصالحت البشرية عليها، وهو ما بعيد رسم الهشاشة ويعيد تعميقها في فكر أصحاب فكرة الحق التي تتمظهر دائماً بالقسر والعنف، وبين هلع أصحاب فكرة الصواب، الذين يرضخون لمقايضة خسيسة بين العنف والأمان، يتبادل فيها الطرفان الهشاشة. لتتحول الهشاشة نفسها إلى شعور بالتهديد نتيجة ضعف موقف حامليها المعرفي، يؤدي إلى تبرير العنف عبر رفض شرعية الآخر، بمعنى انتزاع شرعية من جذورها ككائن معرفي اجتماعي، مما يهدم الطرق للوصول إلى «المجتمع»، أو يهدم المجتمع «كصواب» إذا كان متحققاً، للوصول إلى حق أطرش، يستحيل تزويده بالتصحيحات والنصائح والمشاركات، فيظهر هو الآخر كحق مهلوع من انكشاف عدم قدرته على ممارسة القيم العليا التي تصالحت عليها البشرية، من استخدام العقل إلى إنجاز الاستحقاقات المحدثة تجاه منجزات العصر، وهذا العطب مبني تماماً على عدم تزويج الحق بالصواب لإنتاج حق صائب، بل ممارسة الحق والتفكير فيه كقيمة مطلقة نهائية، يجب حماية إطلاقيتها قبل حمايتها هي كحرب موغلة بالاستباقية والأخطاء الفاحشة التي لا يمكن إصلاحها بوجود الحق نفسه، وهكذا تضعنا الهشاشة أمام استحقاق التخلي عن الحق أمام حق آخر أكثر شراسة وعنفاً، يصنع دائرة عنف جديدة، وهكذا دواليك، ولا من يستطيع إيقافها بالصواب، إلا إذا دخل بعمليات عنفية أكبر، بحيث يفقد الصواب صوابيته هو الآخر، لأنه سيتحلى عندها بموصفات أهل الحق المعرفية، ويرضخ للهشاشة، وهي عدم امتلاك الأدلة الكافية على صلاح قضيته، في مواجهة صواب جديد أحدثته التطورات البشرية المتلاحقة.

على الغالب يستصغر الكثيرون، مسألة الهشاشة هذه، ويعتبرونها مسألة إجرائية مؤجلة، ولكن التأجيل نفسه هو السبب في تكبير وتكثير المصائب وتعقيد نوعيتها، ولقد قيل الكثير في هذا السياق، مثل

لا يصح إلا الصحيح، أو الحق عالٍ ولا يعلى عليه، أو حتى مقولة علاج المرض لا العرض، وإلخ إلخ، ولكن الواقع يكذب كل هذا، فهذا التأجيل القسروي سار بالسودان رويداً من بلد يمكنه أن يطعم العالم، إلى بلد ينهش سكانه الجوع، ومن بلد يعج باللطف والدماثة والطرافة وحتى الثقافة المعاصرة، إلى بلد تجتاحه المقاتل والمجازر، كله بسبب تأجيل المواجهة مع هشاشة فكر النميري والبشير، ولا نعرف الكثير عن الصومال ولكننا على علم بالعنف المصنوع من الدفاع عن الهشاشة، كتبرير للدفاع عن الذات برفض شرعية الخصم/ «الشريك»، عبر إقصائه أولاً، ومن ثم إبادته في حال صحت صوابيته، وكشف عدم اطلاقية صوابية الحق.

البيئة الاجتماعية (وهي غير البيئة المجتمعية) هي الحاضن الأول للهشاشة الناتجة عن الجبن (الهلع) من هذا الاختلاف (الحق والصواب) حيث تسارع إلى تبني القيم البليدة والبعيدة عن مستلزمات العيش بالعصر، مثل اللجوء إلى معاقبة المختلف بعزله حيناً والاعتداء عليه أكثر الأحيان (أزمة الصحافة في مصر ومجرياتها مثالاً تبسيطياً)، تمجيد القوة في الثقافة الشعبية (باب الحارة مثالاً)، سحب الغطاء عن الحقوق الفردية وتثريبها بشعارات لا معنىً معاصراً لها (الفضيلة، والحياء العام إلخ)، تفضيل الولاء على الأهلية والمهارة كممارسة اجتماعية بدهية تتضمن معاقبة المخالف، في مؤشر قوي لضعف هذه البيئة لعدم مقدرتها على تحمل الاختلاف، مما يؤدي إلى اختفاء المسؤولية والمسائلة، في تحويل (أو حتى تزوير) فاقع للعقد الاجتماعي على واهيته الواقعية، وجعله وثيقة شفوية متداولة بين الناس، على ما يعتري المشافهة من تخلف تعبيري، وقصور في تصور المعنى، ما يصنع حاجز بشري (عادة ما يسمى أكثرية) يمنع مراجعة الأفكار، حتى عندما يواجه أدلة تنقضها. هذه البيئة هي المريض والمرض معاً، في اتحاد كارثي، يؤجل الصواب، لينفجر فجائعياً، كمجازر وانهيارات، وربما فناءات متنوعة، ولكنها حقيقية وملموسة، ليصير التعامل مع واقع جديد، من الصراع بين الحق والصواب، صراع قائم على رفض الحق للصواب وإقصائه وعدم التصالح معه.

سوريا الجديدة تحذف اسمه من المناهج التربوية

مَن يخاف عبد الرحمن الكواكبي؟

مروة جردي



مجتمع

بعد أكثر من قرن على رحيله، يعود عبد الرحمن الكواكبي إلى مواجهة الرقابة، وهذه المرّة في المناهج السورية الجديدة. المفكّر الذي حارب الاستبداد العثماني وأُغلقت صحفه، يُحذف اسمه من الكتب المدرسية. مفارقة سبقتها الدراما السورية حين صوّرت أجهزة الأمن تلاحق صاحب «طبائع الاستبداد» حتى بعد موته

«أمن سياسي، ورقة خطير جداً جداً عم تتوزع بالبلد». قد تكون هذه العبارة التي يقولها «عادل»، شخصية المخبر (الواشي) في مسلسل «ضيعة ضائعة»، ما فكّر فيه الرقيب السوري خلال حذفه إحدى الفقرات والصور التي لم تنل حظها الكافي من تسليط الضوء، وهي صورة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي (1855 ــــ 1902)، والفقرة التي تتحدث عنه بوصفه أحد رواد النهضة العربية في بلاد الشام، عبر مؤلفاته الشهيرة «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» و«أم القرى».

ظلّ العثماني يلاحق الكواكبي

اعتبر حفيد الكواكبي، سلام كواكبي، مدير «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» في باريس، أن ما جرى يشكّل «مؤشرات مقلقة إلى عقلية تريد أن تعيد تشكيل الوعي من خلال محو بعض الصور، وتغيير بعضها الآخر، وإعادة تقديم التاريخ والمجتمع وفق تصور ضيق للعالم». ودافع سلام عن جده بالتذكير بأن «الكواكبي انشغل بمسألة الاستبداد، وبالعلاقة بين السلطة وحرية الإنسان، وبأسباب تراجع المجتمعات، وبضرورة تحرير العقل من الخوف والخضوع. وهي أسئلة لا تفقد أهميتها بتغير الدول والحكام، بل تكتسب أهميةً إضافية كلما عادت السلطة لتطالب الناس بالطاعة بدلاً من المساءلة».

وكان الكواكبي شديد الاستياء من الفساد الإداري والبيروقراطي الذي استشرى في بلاد الشام تحت الحكم العثماني، ما دفعه إلى التصدي للاستبداد وغياب التعددية في الآراء. وأشار في كتابه «طبائع الاستبداد» إلى أن «أقبح أنواع الاستبداد استبداد الجهل على العلم، واستبداد النفس على العقل». ورغم أن ذكر الكواكبي وتعداد مؤلفاته في المناهج السورية يعرّفان الطلاب بأحد الأسماء الشهيرة في تاريخهم الفكري، فإن تناوله يقتصر على فقرة قصيرة تضعه في سياق المقاومة الأدبية للحكم العثماني، من دون أن تعرّفهم فعلاً بأحد أشهر دعاة الإصلاح والنهضة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ويُرجّح أن حذف اسم الكواكبي لم يستهدفه تحديداً بسبب أفكاره أو مؤلفاته، وإنما جاء ضمن حذف أسماء وعبارات أخرى تندرج في إطار ما تراه الرقابة مسيئاً إلى فترة الخلافة العثمانية. ويظهر ذلك في الفقرة التي حُذف منها اسم الكواكبي وأسماء رفاقه، وكانت تذكرهم ضمن خانة الأدباء والمفكرين العرب الذين حاربوا «التتريك والاحتلال الأجنبي»، وكتبوا عن الاستبداد السياسي.

صحافة تحت الرقابة

يمكن اعتبار الكواكبي من آباء الصحافة السورية. عاصر بدايتها

وأصدر في حياته ثلاث صحف تعرّضت جميعها للإغلاق منذ أعدادها الأولى، إذ لم تتجاوز أعداد أي منها العشرة، أولها «الشهباء» (1877)، التي صدرت في مدينة حلب، وتُعدّ أول صحيفة أهلية أسبوعية ناطقة باللغة العربية في سوريا. أصدرها الكواكبي وسجّلها باسم صديق له تفادياً لاعتراض السلطات العثمانية، لكنها توقفت بعد فترة قصيرة بسبب جرأتها في نقد فساد الولاة العثمانيين.

ثم أطلق صحيفة «الاعتدال» (1879) في حلب أيضاً، وكانت ناطقة باللغتين العربية والتركية مناصفةً، قبل أن تغلقها السلطات العثمانية. أما آخر محاولاته، فكانت صحيفة «العرب» (1900)، التي أصدرها في القاهرة بعدما أجبرته السلطات العثمانية على الانتقال إليها، حيث انضم إلى دائرة المثقفين العرب المحيطين بالشيخ محمد عبده. وكان مصير الصحيفة الأخيرة المنع والإغلاق أيضاً، إذ توقفت عن الصدور بعد ثلاثة أعداد فقط.

ملاحقة في الحياة والممات

تعرّض الكواكبي في حياته ومماته للكثير من الأخبار والتفسيرات والوصمات. هناك مَن اتّهمه بالعمالة لبلد أجنبي ضد الحكم العثماني، وهي تهمة تحدث عنها حفيده مستهجناً اتهامات «العمالة التي تلحق بكل مناهض للاستبداد». ووصفه بعض المحللين والدارسين بأنه «من أوائل المفكرين القوميين العلمانيين العرب»، بسبب نقده لعلاقة علماء الدين بالحكام ورجال السلطة، ودعوته إلى الإصلاح الديني والسياسي ومنع توظيف الدين لخدمة السلطات السياسية.

اعتبر حفيد الكواكبي أن ما جرى يشكّل «مؤشرات مقلقة إلى عقلية تريد أن تعيد تشكيل الوعي»

واليوم، يُستعاد اسم الكواكبي بوصفه أحد المفكرين المنتمين إلى الطائفة «العلوية»، إذ يعود نسب أسرته الحلبية، وفق مصادر متنوعة، إلى آل البيت. وكان والده عالماً في الشريعة والقضاء، فيما كان جده لأمه مفتي أنطاكية.

ليلة القبض على عبد الرحمن

لم تقتصر استعادة الكواكبي في الدراما على مسلسل «ضيعة ضائعة»، إذ سبق لمسلسل «بقعة ضوء»، في جزئه الرابع (2004)، أن تناول المفكر الحلبي بطريقة مشابهة، عبر لوحة حملت اسم «القبض على عبد الرحمن». وبسبب جهل الجهاز الأمني بهوية عبد الرحمن الكواكبي، يعتبره متهماً، وتبدأ عمليات البحث عنه لمجرد تبادل شباب عبارات من كتبه في أحد المقاهي الشعبية. وحين يشير الشباب إليه بوصفه الشيخ، تعتبره الأجهزة الأمنية «زعيم تنظيم مشبوهاً» يجب إلقاء القبض عليه.

والمصادفة الغريبة في هذه الحلقة أنّ ضابط الأمن ــ لدى سماع الاسم ــ يحاول تذكّر ما إذا كان قد ورد لديه سابقاً، كما يحاول التعرّف إليه بين أربعة أشخاص يحملون الاسم نفسه. مصادفة تعيد التذكير بما كشفته أرشيفات متروكة في فروع مخابرات النظام السوري بعد سقوطه. إذ أظهرت أنّ ملف الرئيس السوري الحالي أحمد الشرع لدى المخابرات لم تحسم هوية شخصيته الجهادية التي حملت اسم «الجولاني» حتى عام 2016. وكانت المخابرات حائرة بين أربعة جهاديين آخرين أُدرجت أسماؤهم في الملف. تعكس هذه الواقعة آلة بيروقراطية تتقدم فيها التفاصيل الشكلية على دقة المعلومات وقدرة كوادر الأجهزة على التحليل والاستنتاج، بما يظهر قدرة ونجاح الدراما السورية على توصيف حال النظام في سنواته العشرين الأخيرة.

ورغم أن الأعمال الدرامية السابقة كانت تنتقد النظام السوري السابق، فمن المثير للسخرية أن يُستعاد الكواكبي اليوم بوصفه خصماً للنظام الحالي أيضاً. وتختصر العبارة الختامية من حلقة «بقعة ضوء» هذه المفارقة، عندما يعلم عنصر الأمن أنّ عبد الرحمن الكواكبي «ميت»، فيتوعده: «ماشي الحال يا كواكبي، ماشي الحال، محسّب إذا عملت عملتك ومتت بدك تنفد مني، بدي كون وراك وين ما رحت»

أزمة الحزب السوري القومي الاجتماعي:

هل جرى تفريغ النهضة من مضمونها، حتى بات الحزب عاجزًا عن تحقيق الغاية التي تأسّس من أجلها؟

د. نبيلة غصن ـ الحلقة الثانية

رأي

خامسًا: حين تتحوّل المؤسسة إلى غاية، تموت النهضة قبل أن يُعلن أحد موتها

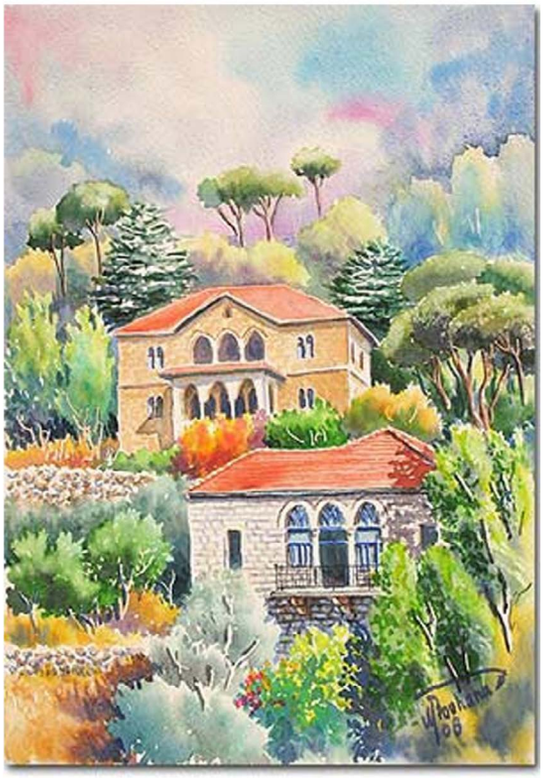
هناك فرق جوهري بين حزب موجود لكي يحقّق مشروعًا، وحزب يصبح الحفاظ على وجوده التنظيمي هو مشروعه الفعلي.

في الحالة الأولى، تكون المؤسسة أداةً لخدمة غاية أكبر منها. تُراجع بنيتها، وتغيّر أساليبها، وتستبدل قياداتها عند الحاجة، وتطوّر برامجها وفق التحوّلات الاجتماعية، لأنّ المعيار النهائي هو نجاح المشروع.

أمّا في الحالة الثانية، فتصبح الغاية المعلنة ستارًا لاستمرار المؤسسة كما هي. يُقدَّم الحفاظ على الوحدة التنظيمية على حساب النقاش الفكري، وتُقدَّم المحافظة على المواقع على حساب تجديد القيادات.

وهنا **تنقلب العلاقة بين الوسيلة والغاية.**

هذه ليست مشكلة الحزب السوري القومي الاجتماعي وحده؛ **إنها إحدى المعضلات التي واجهتها حركات سياسية**



الفنان ميشال روحانا ـ لبنان

كثيرة، حين انفصلت أجهزتها التنظيمية عن المجتمع الذي ادّعت تمثيله، وعن المشروع الذي قامت من أجله.

لكنّ خطورة هذه المعضلة في الحزب السوري القومي الاجتماعي تحديدًا تكمن في التناقض بين حجم الرسالة المعلنة وحجم العجز عن تجسيدها.

وكيف يمكنها أن تتحدّث عن الأخلاقية الجديدة، إذا لم تكن النزاهة والشفافية وتحمل المسؤولية قواعد ثابتة في إدارة الشأن الحزبي؟ إنّ النهضة لا تُقاس بما تقوله المؤسسة عن نفسها، بل بما تمارسه

سادسًا: أزمة القيادة ليست أزمة أشخاص فقط، بل أزمة وظيفة القيادة

لا يمكن لأيّ مشروع نهضوي أن يستمرّ من دون قيادة تمتلك الرؤية، والكفاءة، والقدرة على تحويل الأفكار إلى برامج. لكنّ القيادة، في المفهوم النهضوي، ليست امتيازًا شخصيًا، ولا تفويضًا مفتوحًا، ولا ملكيةً للمؤسسة. القيادة وظيفة تاريخية ومسؤولية محدّدة، تُمنح لصاحبها كي يطوّر المشروع، وينظّم الموارد، ويجمع الطاقات، ويصنع القرارات، ويتحمّل نتائجها. وعندما تتراجع وظيفة القيادة من إدارة مشروع اجتماعي إلى إدارة توازنات داخلية، يبدأ التراجع البنيوي.

تُستهلك الاجتماعات في مناقشة الصلاحيات بدل مناقشة البرامج. وتُستهلك الطاقات في إثبات شرعية المواقع بدل إثبات القدرة على الإنجاز ثم يتكرّر المشهد: خلاف، فتكتّل؛ تكتّل، فمواجهة؛ مواجهة، فانقسام؛ ثمّ محاولات لإعادة ترتيب المواقع، من دون مراجعة الأسباب التي أنتجت الأزمة أصلًا.

ينبغي أن يُسأل كلّ مسؤول:

ما المشروع الذي قدّمته خلال فترة مسؤوليتك؟ وما الأهداف التي التزمت بتحقيقها؟ وما النتائج التي تحقّقت فعلًا؟ وما القرارات التي أخفقت، ولماذا؟

ما الذي تعلّمته المؤسسة من تجربتك وما الذي ستسلّمه إلى من يأتي بعدك من معرفة وخطط ومؤسسات، بدل أن تترك له أزمة جديدة؟

هذه الأسئلة ليست عدائية. إنها الحدّ الأدنى من المحاسبة التي تجعل العمل السياسي عملًا مسؤولًا.

إنّ القيادة التي تخشى النقد تضعف نفسها، والقيادة التي تحاصر الكفاءات تفقد مصادر تجديدها، والقيادة التي تجعل الولاء الشخصي معيارًا للثقة تدمّر تدريجيًا قدرتها على اختيار الأفضل.

سابعًا: القوميون الاجتماعيون ليسوا جمهورًا للتصفيق، بل طاقة تاريخية معطّلة

من الظلم أن يُختزل القوميون الاجتماعيون في الصراعات التي تدور داخل المؤسسة. فبين المنتسبين إليها أفراد يمتلكون المعرفة والخبرة والقدرات المهنية، وفيهم مربّون وباحثون وأكاديميون

ومثقفون وأصحاب خبرات في الاقتصاد والإدارة والثقافة والعمل الاجتماعي.

لكنّ السؤال هو: هل تملك المؤسسة نظامًا يسمح بتحويل هذه القدرات إلى قوة إنتاج جماعي؟

هل يستطيع الباحث أن يقدّم مشروعًا فيُقيّم علميًا؟ المتخصّص الاقتصادي أن يشارك في وضع برنامج اقتصادي؟ المربّي أن يساهم في تطوير نموذج تربوي؟

وهل يستطيع العضو أن يعترض على قرار قيادي من دون أن يتحوّل اعتراضه إلى دليل على عدم ولائه؟

لهذا، فإنّ إعادة بناء الحزب يجب أن تبدأ بإعادة الاعتبار إلى الإنسان القومي الاجتماعي بوصفه عقلًا فاعلًا لا يمكن لحركة تدعو إلى بعث نهضة أن تُبقي طاقات أعضائها معطّلة، ثمّ تتساءل عن أسباب تراجعها.

ثامنًا: كيف يمكن تحويل الحزب من ساحة استنزاف إلى ورشة نهضوية؟

إنّ الخروج من الأزمة يحتاج إلى مشروع تأسيسي جديد في آليات العمل

المطلوب برنامج واضح، بجدول زمني، ومسؤوليات محدّدة، ونتائج قابلة للقياس.

1. مراجعة تاريخية ومؤسسية صريحة

ينبغي إعداد مراجعة مستقلة لمسار الحزب خلال العقود الثلاثة الأخيرة، تتناول القرارات الاستراتيجية، والأزمات التنظيمية، والتحوّلات الاجتماعية والسياسية، والبرامج التي أُعلنت والنتائج التي تحقّقت. **لا يكون الهدف محاكمة الماضي بمنطق الانتقام، بل فهمه بمنطق المعرفة.**

ما القرارات التي نجحت؟ وما الذي أخفق؟ وأيّ أنماط من العمل تكرّرت رغم ثبوت محدودية نتائجها؟ وما العوامل الداخلية والخارجية التي أثّرت في المسار؟

يجب أن تنتهي هذه المراجعة إلى وثيقة مؤسسية منشورة للأعضاء، تتضمّن الاستنتاجات والتوصيات وخطة الإصلاح.

2. وضع مشروع نهضوي تنفيذي لخمس سنوات

لا يكفي أن يعلن الحزب أهدافًا كبرى. عليه أن يحدّد ما يستطيع إنجازه خلال خمس سنوات، وأن يربط كلّ هدف ببرنامج ومسؤولية وموارد ومؤشرات قياس.

على سبيل المثال، يمكن بناء المشروع حول خمس مسارات مترابطة:

المسار التربوي والمعرفي: إعداد برامج في التفكير النقدي، والتربية المدنية، وتاريخ الأفكار.

المسار الاقتصادي والاجتماعي: تطوير تصوّر للاقتصاد المنتج، وفرص العمل، والتعاونيات، والمبادرات المحلية، والسياسات التي تحدّ من التبعية الاقتصادية وتحمي كرامة الإنسان.

مسار بناء المجتمع: إطلاق مبادرات تجمع المواطنين حول مصالح مشتركة، وتعزّز التعاون بين مكوّنات المجتمع، وتواجه الطائفية بالممارسة والمؤسسات لا بالشعارات وحدها.

المسار السياسي والدستوري: بلورة برامج في الحوكمة، والحقوق، والمساءلة، والإدارة العامة، والإصلاح المؤسسي

مسار المعرفة والسيادة الرقمية: إنشاء قدرات بحثية ورقمية، ومحتوى معرفي عربي، وبرامج لمحو الأمية الرقمية، ودراسة أثر المنصّات والخوارزميات في تشكيل الوعي العام. هذه المسارات ليست قائمةً نهائية، ولا يجوز تقديمها بوصفها بديلًا جاهزًا عن النقاش العقائدي والسياسي داخل الحزب

3. إعادة بناء الإدارة على أساس الكفاءة والمحاسبة

لا يمكن المطالبة بالثقة من دون شفافية، ولا بالانضباط من دون عدالة، ولا بالوحدة من دون ضمانات مؤسسية.

4. حماية الحزب من الاختراق ومن توظيف تهمة الاختراق

ينبغي إنشاء آلية مهنية مستقلة للتحقيق في المخاطر الأمنية والتنظيمية، وفق معايير، واضحة للأدلّة، والسرية، والعدالة. ان تحويل الشبهة إلى أداة لإسكات المعارضين خطر آخر لا يقلّ أثره التدميري على المؤسسة.

5. تحويل كلّ مديرية ومنفذية وهيئة إلى وحدة إنتاج

لا ينبغي أن يكون نجاح الوحدة التنظيمية مرتبطًا بعدد الاجتماعات أو البيانات أو المناسبات التي تقيمها فقط. يمكن، مثلًا، أن تلتزم كلّ وحدة سنويًا بتنفيذ مشروع معرفي أو اجتماعي أو اقتصادي محدّد، وأن تقدّم تقريرًا عن نتائجه، وأن تخضع تجربتها للتقييم، وأن تتبادل الوحدات الخبرات فيما بينها.

6. إعادة الاعتبار إلى الديمقراطية التعبيرية

إذا كان الحزب يريد أن يساهم في بناء مجتمع قادر على التعبير عن إرادته،

فلا بدّ أن تكون مؤسساته نفسها مجالًا لممارسة المشاركة الفعلية.

فالديمقراطية التعبيرية ليست شعارًا يُرفع أمام المجتمع، بل ثقافة مؤسسية تجعل الإرادة الجماعية قادرةً على الظهور والتأثير والمحاسبة.

تاسعًا: بعث النهضة يبدأ من إنتاج عقلية أخلاقية جديدة

قد ينجح الحزب في إصلاح بعض إجراءاته، ويستعيد انتظام اجتماعاته، ويخفّف من حدّة انقساماته، لكنّ ذلك لن يكون كافيًا إذا بقيت العقلية التي أنتجت الأزمة قائمة.

إنّ الإصلاح الإداري ضروري، لكنه لا يغني عن الإصلاح الثقافي والأخلاقي.

لهذا، فإنّ بعث النهضة يتطلّب بناء عقلية أخلاقية جديدة، تقوم على النزاهة، واحترام الحقيقة، وقبول المساءلة، وتقديم المصلحة العامة، والاعتراف بحقّ الآخرين في المشاركة. فيتعلّم القومي الاجتماعي كيف يختلف من دون أن يُلغي، وكيف يعترض من دون أن يخوّن، وكيف يقود من دون أن يحتكر.

عاشرًا: اليأس الذي يهدّد القوميين الاجتماعيين ليس قدرًا، لكنّ تجاهله جريمة سياسية

حين تتراكم الانقسامات، ويطول انتظار الإصلاح، وتغيب النتائج، يصبح الإحباط خطرًا حقيقيًا على أيّ حركة سياسية.

قد يبدأ الأمر بخيبة أمل من قيادة أو هيئة، ثمّ يتطوّر إلى فقدان الثقة بالمؤسسة، وبعدها إلى الشكّ في إمكان تحقيق المشروع نفسه.

ففشل قيادة لا يثبت بالضرورة فشل العقيدة، لكنّ تكرار الإخفاقات من دون مراجعة يفرض إعادة النظر في طريقة فهم العقيدة وتطبيقها، وفي البنية التنظيمية التي يُفترض أن تجعلها قوةً فاعلة.

إنّ الولاء الحقيقي للمشروع ليس الصمت عن الإخفاق وليس الدفاع عن المؤسسة مهما فعلت، بل العمل على جعلها جديرةً برسالتها.

وإذا كان هناك خطر خارجي يسعى إلى إضعاف الحزب، فإنّ أفضل ردّ عليه هو بناء مؤسسة لا يستطيع الانقسام أن يشلّها وإذا كانت الأزمة داخلية في جوهرها، فإنّ الاعتراف بذلك هو بداية التحرّر من تكرارها.

خاتمة: إمّا أن يعود الحزب أداةً للنهضة، وإمّا أن يبقى أسيرًا لمؤسسته

إنّ الأزمة التي يعيشها الحزب السوري القومي الاجتماعي تستحقّ أكثر من بيانات الاستنكار، وأكثر من تبادل الاتهامات، وأكثر من الدعوات العامة إلى الوحدة. إنّها تستدعي مواجهةً تاريخية مع سؤال الغاية، ومع بنية المؤسسة، ومع معنى القيادة، ومع مسؤولية الأجيال التي حملت الفكرة ولم تنجح، حتى الآن، في تحويلها إلى مشروع اجتماعي متكامل يوازي طموحها.

لكنّ كلّ هذه المسائل، على أهميتها، لا ينبغي أن تحجب السؤال المركزي:

أين النهضة التي تأسّس الحزب من أجل بعثها؟

أين الإنسان الذي يفترض أن يكون أكثر وعيًا وحريةً ومسؤوليةً وقدرةً على الإنتاج؟ **أين المجتمع الذي يفترض أن يكون أقلّ خضوعًا للعصبيات** والتبعية والتفكّك؟ **أين المشروع الاقتصادي والثقافي والتربوي والسياسي** الذي يحوّل الرؤية إلى مؤسسات ونتائج؟ وأين الأثر الذي يمكن للمواطن أن يلمسه في حياته، لا أن يسمع عنه في خطاب حزبي؟

فليتوقّف زمن تقديس المؤسسة على حساب رسالتها، وزمن مطالبة الأعضاء بالصبر من دون تقديم حساب، وزمن تحويل كلّ نقد إلى خصومة، وكلّ خلاف إلى انقسام، وكلّ إخفاق إلى عذر جديد.

إنّ القوميين الاجتماعيين أمام مسؤولية تاريخية: إمّا أن يحوّلوا الأزمة إلى نقطة انطلاق لمراجعة شاملة، وبناء مؤسسات جديدة في فاعليتها، وإنتاج برنامج نهضوي قابل للتطبيق، وإطلاق طاقات أعضائهم في المجتمع؛ وإمّا أن يستمرّ استنزافهم في صراعات لا تنتج سوى مزيد من العجز والخيبة.

والتاريخ لا يحكم على الحركات بما وعدت به، بل بما أنجزته، وبما تعلّمته من إخفاقاتها، وبقدرتها على تحويل أفكارها إلى قوةٍ تصنع مستقبل الإنسان والمجتمع.

ثقافة

التجدد الروحي: من الاستعداد لتغيير

المجتمع إلى التمرّس الذاتي في الحياة الجديدة

د. ميلاد سبعلي



الفنان نذير نبعة ـ الشام

«الحزب السوري القومي الاجتماعي هو حركة تجديدية في المناقب والأخلاق، كما في النظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية».

ويضيف سعاده: «ومع ذلك فقليلون من أبناء التربية اللاقومية، أو من أبناء الفوضى البعيدة عن أية تربية يدركون خطورة هذه الحقيقة ويهيّئون أنفسهم للتجدد الروحي، حتى حين يقبلون على الحزب ويعلنون رغبتهم في الانضمام تحت لوائه وقيادته»

بهذا الكلام، في مقاله «الحزب السوري القومي الاجتماعي لا يقبل المثالب»، المنشور

في «الزوبعة»، العدد 79، بتاريخ 12 آب 1944، يوضح سعاده أن الانتماء إلى النهضة يتطلب استعدادًا لتغيير النفس وطريقة التفكير والسلوك. فالإنسان المقبل عليها يأتي من مجتمع يحمل عاداته وتقاليده وتناقضاته، ومنها ما جاءت النهضة لتغييره.

هذا هو معنى التجدد الروحي: أن يصبح الإنسان مستعدًا لمراجعة ما ورثه واعتاد عليه، وللتخلي عن السلوكيات التي تناقض القيم التي اختارها. ثم أن يحوّل هذا الاستعداد، بالتعلم والممارسة، إلى طريقة جديدة في الحياة.

قد يقتنع الفرد بوحدة المجتمع، لكنه يبقى أسير أحكام طائفية أو مناطقية تظهر عند أول خلاف أو مصاهرة. وقد يؤمن بالحرية، لكنه يخشى إبداء رأيه أمام مسؤول، أو يمنع الآخرين من نقده حين يتولى مسؤولية. وقد يتحدث عن المصلحة العامة، ثم يقدم مصلحته الخاصة عندما يقع التعارض بينهما. هذه المسافة بين الاقتناع والممارسة هي المجال الذي ينبغي أن يعمل فيه التجدد الروحي.

ولا تُردم هذه المسافة بمجرد إعلان الانتماء، أو حفظ المبادئ، أو تكرار الأقوال. إنها تحتاج إلى تمرس طويل بسلوكيات الحياة الجديدة وقيمها، حتى تصبح القيم جزءًا من طريقة التفكير والتصرف، وتضعف أمامها العادات القديمة وتندثر مع الوقت.

من المسؤول: المؤسسة أم الرفقاء؟

في مناقشة أسباب التردي، يحمل البعض المسؤولية للمؤسسة والقيادات، فيما يحملها آخرون للرفقاء الذين لم يتخلصوا من أمراض المجتمع القديم. ولكل من الرأيين ما يستند إليه، لكن فهم المشكلة يحتاج إلى تحديد مسؤولية كل طرف، والعلاقة بينهما.

على الفرد أن يهيئ نفسه للتجدد الروحي. أي أن يدخل النهضة مستعدًا لأن يتعلم ويتغير، وأن يقبل مراجعة سلوكه كما يراجع أفكاره. فمن يتمسك بعصبياته ومصالحه وعاداته، ويرفض أن تمسها المبادئ التي يعلنها، يعطل بنفسه إمكان التحول. والانتماء لا يمنحه شهادة بأنه أصبح إنسانًا جديدًا، بل يحمله مسؤولية العمل ليصبح كذلك.

وعلى المؤسسة أن تجتذب العناصر الجيدة القابلة لهذا التجدد، وأن تربيها وتدربها، وتوفر لها البيئة والمساحات التي تتمرس فيها بقيم الحياة الجديدة وسلوكياتها.

لذلك لا يصح أن تطلب المؤسسة من المقبل عليها أن يكون قد أنجز التحول القيمي والسلوكي والتجدد الروحي قبل دخوله، ولا أن تتركه بعد انتمائه يواجه تناقضاته لوحده. المطلوب منه الاستعداد الصادق وبذل الجهد،

والمطلوب منها أن تنظم هذا الجهد وتدعمه وتوفر شروط نجاحه.

كيف يتمرس الإنسان بالحياة الجديدة؟

يتعلم الإنسان من الشرح والقراءة، لكنه يتعلم أيضًا، وبعمق أكبر، مما يمارسه ويجرّبه كل يوم. ولهذا تحتاج التربية إلى مساحات فعلية يختبر فيها الرفيق معنى القيم التي يتبناها.

يتعلم احترام الرأي حين يشارك في نقاش يستطيع فيه أن يسأل ويعترض، ويستمع إلى جواب يحترم عقله. ويتعلم التعاون حين يعمل مع آخرين على مهمة مشتركة، ويتقاسم معهم المسؤولية والجهد والنتيجة. ويتعلم المصلحة العامة حين يشارك في مشروع يخدم الناس، ويضطر إلى تقديم حاجاتهم على رغبته في الظهور. ويتعلم تجاوز العصبيات حين يبني علاقات ثقة وتعاون مع أشخاص من بيئات مختلفة، بعيداً عن الكليكات أو الفئويات الموروثة أو المستحدثة داخل المؤسسة، ويختبر عمليًا أن قيمة الإنسان في صفاته وعمله.

كذلك يتمرس بالمسؤولية حين يتولى مهمة واضحة، ويتلقى التدريب اللازم لإنجازها، ثم يُسأل عن نتيجتها. ويتعلم قبول النقد حين يرى أن الخطأ يُناقش بقصد تصحيحه، وأن الاعتراف به يفتح طريق التحسن. ويتعلم النزاهة حين يجد أن المال يُدار بشفافية، وأن القواعد تطبق على الجميع، وأن القرب من المسؤول لا يمنح حصانة أو امتيازًا.

بهذا المعنى، تصبح الحياة الحزبية نفسها تربية يومية. فالاجتماع، والنشاط، والعلاقة بين المسؤول والعضو، وطريقة توزيع المهمات، وإدارة المال، ومعالجة الخلافات، كلها فرص للتمرس بالحياة الجديدة، أو لإعادة إنتاج الحياة القديمة.

فإذا سمع الرفيق عن الحرية ثم عوقب لأنه عبّر عن رأيه، تعلّم الصمت. وإذا سمع عن الكفاءة ثم رأى التقدم مرهونًا بالولاء الشخصي، تعلّم التزلف. وإذا سمع عن النزاهة ثم شاهد حماية المتجاوزين، تعلّم أن العلاقات والمحسوبيات أقوى من القواعد. وعندها تصبح الممارسة اليومية أقوى من التربية المعلنة، وتدفعه في الاتجاه المعاكس للتجدد المطلوب.

حين تدخل قيم المجتمع القديم إلى المؤسسة

من الطبيعي أن يحمل المقبلون على النهضة آثار المجتمع الذي نشأوا فيه. لكن الخطر يبدأ حين تستقر هذه الآثار داخل المؤسسة، وتصبح جزءًا من علاقاتها وقواعدها الفعلية وسلوكياتها ومبادئ حياتها.

تدخل العصبية في صورة جماعة تحمي أفرادها، والطاعة العمياء في صورة انضباط، والتزلف في صورة احترام للمسؤول، والمحسوبية في صورة وفاء للرفقاء. ومع الوقت، تفقد الكلمات معناها، ويصبح السلوك القديم مقبولًا لأنه يرتدي لباسًا حزبيًا.

وقد تتراجع التربية أمام الحاجة إلى الأعداد والحشد والعمل السياسي أو العسكري أو الانتخابي. فيُكتفى من العضو بالحضور والطاعة وتنفيذ المهمات، ويؤجل الاهتمام بتكوينه الفكري والمناقبي والمهني. وحين يطول هذا التأجيل، يصبح التحول أمرًا ثانويًا.

وقد تُختزل التربية نفسها في حفظ النصوص وتكرارها. فيعرف الرفيق ماذا قال سعاده، لكنه لا يتدرب على ترجمة ذلك في حياته. بل قد يستخدم النصوص لإسكات غيره أو إثبات تفوقه عليه، فتتحول المعرفة التي يفترض أن تساعده على التجدد إلى أداة لحماية جموده.

هنا تتحمل المؤسسة مسؤولية أساسية، لأنها أهملت الوظيفة التي تبرر وجودها بوصفها حركة نهضة: مساعدة الإنسان على الانتقال من الاقتناع بالحياة الجديدة إلى القدرة على ممارستها وتجاوز موروثات الحياة القديمة وسلوكياتها.

مسؤولية الفرد لا تسقط

لكن غياب البيئة السليمة لا يعفي الفرد من مسؤوليته. فهو مسؤول عن صدقه، وعن مشاركته في الخطأ أو اعتراضه عليه، وعن استعداده للتخلي عن منفعة حصل عليها على حساب القيم التي يعلنها.

ومن علامات الاستعداد للتجدد أن يقبل الإنسان تطبيق المبادئ على نفسه؟ هل يبرر تجاوزات القيادة بحجة الحفاظ على بقاء المؤسسة أو دورها في المنافسة مع أطراف أخرى في المجتمع والدولة؟

هذه امتحانات عملية تكشف معنى الانتماء. وكلما تهرب منها الفرد، اتسعت المسافة بين النهضة التي يتحدث عنها والحياة التي يمارسها. غير أن المؤسسة لا تستطيع الاكتفاء بتوجيه اللوم إليه. عليها أن تسأل نفسها أيضًا: هل دربته؟ هل أتاحت له فرص التمرس؟ هل قدم المسؤولون أمامه نموذجًا ناصعًا أو مقنعًا؟ وهل شجعت السلوك الذي تطلبه منه، أم كافأت نقيضه؟

اجتذاب العناصر الجيدة ورعاية تحولها

تحتاج النهضة إلى القدرة على اجتذاب أشخاص لديهم الصدق والاستعداد للتعلم، والعمل، والتغيّر، والتغيير. وهذه الصفات تحتاج إلى بيئة تحترمها وتنمّيها.

فصاحب المبادرة يحتاج إلى مساحة يجرب فيها، وصاحب الكفاءة يحتاج إلى فرصة يقدّم من خلالها قدرته، وصاحب الرأي يحتاج إلى من يناقشه. وإذا وجد هؤلاء أن السؤال يثير الشبهة، والمبادرة تزعج أصحاب المواقع، والولاء الشخصي يسبق الجدارة، فقد يبتعدون أو ينكفئون. وبذلك تخسر الحركة بعض العناصر الأقدر على تجديدها.

أما البيئة السليمة، فتربط التربية بالعمل: قراءة ونقاش، وتدريب ومسؤوليات، ومبادرات ثقافية واجتماعية واقتصادية، ومراجعة دورية للتجربة. وهي تتيح للرفيق أن يتقدم تدريجيًا، وأن يخطئ ويتعلم.

الوجدان القومي: ميزان يرافق الإنسان

ومن أهم ثمار هذا التمرس أن ينمّي الفرد وجدانه القومي، أي ضميرًا قيميًا حيًا يراجع به سلوكياته وقراراته باستمرار. فيسأل نفسه: هل ما أفعله من موروثات المجتمع القديم، أم يعبّر عن قيم النهضة ومناقبها ومعايير الحياة الجديدة؟ هل أدافع عن هذا القرار لأنه يخدم المصلحة العامة، أم لأنه يخدم موقعي أو جماعتي؟ وهل أقبل السلوك نفسه لو صدر عن رفيق أختلف معه؟

تنمو هذه القدرة بالتربية والقدوة والممارسة والمراجعة الصادقة. ودور المؤسسة أن تساعد الفرد على اكتسابها، حتى يستطيع تقييم تصرفاته وتصحيحها من تلقاء نفسه، بما في ذلك حين لا يراقبه أحد، أو حين يشجعه المحيط على سلوك خاطئ.

هل نخشى انتصار ما نؤمن به؟

حين يبقى التجدد الروحي مؤجلًا، قد يصل التناقض إلى حد أن يخشى الرفيق بعض نتائج انتصار قضيته. يرحب بالمحاسبة ما دامت بعيدة عنه أو عن الفئة أو الكليك داخل المؤسسة التي يشترك معها، وبالكفاءة ما دامت لا تهدد موقعه، وبتجاوز العصبيات ما دام لا يمس خياراته وعلاقاته الخاصة.

من هنا تبدأ أهمية كلام سعاده عن الاستعداد للتجدد الروحي. فالمقبل على النهضة مدعو إلى قبول أن تغيّره المبادئ التي يريد تغيير المجتمع بها. والمؤسسة مدعوة إلى أن تجعل هذا التغير ممكنًا، من خلال التربية والتدريب والقدوة والتمرس اليومي بالحياة الجديدة.

وحين تجتمع إرادة الفرد مع بيئة تساعده على النمو، يصبح الانتماء مسارًا حقيقيًا للتحول. وعندها يستطيع الرفيق أن يعمل لانتصار قضيته وهو مستعد لأن يحيا نتائج هذا الانتصار، في نفسه وبيته ومؤسسته، كما يريد أن يراها سائدة في مجتمعه.

الغاية العظمى... حين نرتفع فوق المصالح الصغيرة

د. ادمون ملحم



ثقافة

ما الذي يجعل الإنسان قادرًا على تجاوز مصالحه الصغيرة، واحتمال الصعاب، والثبات على قضية قد لا يرى انتصارها في حياته؟ وما الذي يمنح جماعة من الناس القدرة على النهوض من واقع الخمول والتفرّق إلى حياة العزّة والفعل والإنتاج؟

إنها الغاية العظمى التي يؤمنون بها، ويجعلونها مقياسًا لمواقفهم وأعمالهم، وبوصلة توجّه إرادتهم نحو المستقبل.

هذه الفكرة كانت محورًا أساسيًا في خطاب أنطون سعاده في بلدة ددّه ـ الكورة، في 17 تشرين الأول 1948، حين دعا القوميين الاجتماعيين والمواطنين إلى إدراك معنى الغاية في حياة الإنسان والأمة، والتحرّر من الاتكالية والمصالح الصغيرة التي تعيق النهوض.

الغاية العظمى تصنع النفوس العظيمة

لم يبدأ سعاده خطابه بالحديث عن السياسة اليومية، بل انطلق من مسألة فكرية عميقة تتصل بمعنى الغاية في حياة الإنسان، فقال:

«على قدر عظم الغاية تكون النفوس. فالغاية العظيمة تمثّل النفوس العظيمة وتشهد بعظمتها وحيث لا غاية فلا نفوس».[1]

لم يكن سعاده يقصد أن قيمة الإنسان تُقاس بما يعلنه من شعارات أو يدّعيه من إيمان، بل بما يحمله من غايات سامية، وما يبذله من جهد وتضحية لتحقيقها.

وهنا تبرز إحدى خصائص خطاب سعاده: إنه لا يخاطب العاطفة وحدها، بل يسعى إلى إيقاظ الوعي، وربط كرامة الإنسان بغاية اجتماعية أسمى من وجوده الفردي.

لا نهضة مع الاتكالية

في خطابه، ربط سعاده بين غياب الغاية وانتشار الاتكالية. فالذي لا يمتلك هدفًا واضحًا يسعى إليه ينتظر الآخرين ليقرّروا مصيره، ويصبح عرضة للاستغلال والخضوع.

ولذلك لم يقتصر نقده على الاتكال الداخلي على الزعماء وأصحاب المصالح، بل تناول أيضًا الاتكال على الدول الأجنبية، محذّرًا من أن الشعوب التي تنتظر خلاصها من الخارج تفقد القدرة على تقرير مصيرها. وقد عبّر عن هذه الحقيقة بقوله:

«كل شعب يتكل على غيره يصير مطية لغيره».[2]

إنّ هذه العبارة تختصر جانبًا أساسيًا من رسالة النهضة السورية القومية الاجتماعية: أن تمتلك الأمة إرادتها، وتثق بقدراتها، وتعتمد على نفسها في الدفاع عن حقوقها وتحقيق مصالحها.

---

1 ـ أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثامن، الملحق رقم 4، «خطاب الزعيم في ددّه ـ الكورة»، 17 تشرين الأول 1948، صدى الشمال ـ صوت الجيل الجديد، بيروت، العدد 7، 8 تموز 1958.

2 ـ المرجع نفسه.

وليس المقصود رفض التعاون مع الآخرين، بل رفض الارتهان لإراداتهم، أو جعل مصالح الأمة خاضعة لحساباتهم ومشاريعهم.

معرفة الغاية ومعرفة الطريق

لكنّ الإيمان بالغاية، مهما كان عظيمًا، لا يكفي وحده لتحقيقها. فالحماسة التي لا تستند إلى وعي واضح وخطة عمل منظّمة قد تبدّد الطاقات بدل أن توحّدها.

وفي كلمة أخرى لسعاده في القوميين الاجتماعيين، نجد تعبيرًا بالغ الدلالة عن هذه الحقيقة:

«نحن في الطريق إلى غاية عظمى لهذه الأمة، نسير إليها مؤمنين واثقين ببلوغها ليس لأن كل من سار على الدرب وصل، بل لأن من يصل إلى الغاية هو الذي يعرف الغاية ويعرف الدرب».[1]

إنها دعوة إلى الجمع بين الإيمان والمعرفة، وبين وضوح الهدف وحسن اختيار الوسائل، وبين الثبات على المبادئ والقدرة على العمل المنظّم.

فالنهضة لا تتحقّق بالنيات الحسنة أو بكثرة الشعارات، بل بإرادة واعية، ومؤسسات فاعلة، وجهود متكاملة تعرف ماذا تريد وكيف تعمل.

الارتقاء فوق المصالح الصغيرة

وفي الكلمة نفسها، يقول سعاده:

«نحن قد نهضنا وارتفعنا فوق الجزئيات الحقيرة لأننا نعرف هذه الأمة خلوداً في آيات خالدة».[2]

لا تعني هذه العبارة الاستهانة بحاجات الناس أو بمشكلاتهم اليومية، بل التحرّر من الحسابات الضيّقة التي تحجب الرؤية عن القضية الكبرى.

---

1 ـ أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثامن، الملحق رقم 5، «كلمة الزعيم في القوميين الاجتماعيين»، صدى الشمال ـ صوت الجيل الجديد، بيروت، العدد 85، 12 شباط 1960.

2 ـ المرجع نفسه.

فالإنسان الذي يؤمن بغاية عظيمة لا يجعل من موقعه أو مصلحته أو رأيه الشخصي محورًا تدور حوله القضية، بل ينظر إلى كل ذلك في ضوء المصلحة القومية العامة.

وقد أكّد سعاده هذا المعنى في خطابه في جل الديب سنة 1948، حين قال:

«لسنا في الحزب السوري القومي الاجتماعي لخدمة غايات فردية أو جزئية. نحن في الحزب القومي الاجتماعي لنخدم غاية الشعب بأسره».[1]

وفي مقال «المروق من القضية القومية الاجتماعية»، رفض سعاده اختزال القضية القومية في تحقيق هدف سياسي محدود، مؤكّدًا أن غايتها تتعلّق بحياة الأمة ووحدتها ورقيّها.[2]

وهكذا تتكامل الأفكار: الغاية الكبرى لا تُختزل في الأشخاص، ولا في المكاسب المرحلية، ولا في المصالح الجزئية. إنها المقياس الذي تُقاس به الأعمال والمواقف والإنجازات.

حين تُختبر حقيقة الالتزام

إذا انتقلنا من هذه الخطابات إلى واقعنا الحزبي اليوم، وجدنا أنفسنا أمام سؤال جوهري: هل ما زالت الغاية العظمى هي التي توجّه أعمالنا وقراراتنا، أم أن الانشغال بالمصالح الآنية يبعدنا أحيانًا عن جوهر القضية؟

إنّ الالتزام الحقيقي لا يُقاس بكثرة الكلام عن المبادئ، ولا بطول سنوات الانتماء، ولا بالمواقع التي يتولّاها الأفراد، بل بمقدار ما يقدّمونه من عمل وإنتاج وتضحية في سبيل الغاية المشتركة.

1 ـ أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد الثامن، «خطاب الزعيم في جل الديب»، 22 شباط 1948، النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية، بيروت، المجلد الأول، العدد 7، 30 آذار 1948.

2 ـ أنطون سعاده، الأعمال الكاملة، المجلد السابع، «المروق من القضية القومية الاجتماعية»، الزوبعة، بوينس أيرس، العدد 82، 4 تشرين الثاني 1944.

وإذا كانت النهضة مشروعًا لتغيير حياة الأمة، فإن مسؤولية السوريين القوميين الاجتماعيين لا تنحصر في المحافظة على التنظيم، بل تشمل تطويره وتفعيل مؤسساته، وإعداد الأجيال، ونشر الوعي القومي، والمشاركة في معالجة مشكلات المجتمع والدفاع عن مصالحه.

أن نكون على مستوى الغاية

لقد أراد سعاده، في خطاب ددّه، أن يرفع القوميين الاجتماعيين من مستوى الانشغال بالمشكلات اليومية إلى مستوى إدراك القضية الكبرى، ثم أعادهم إلى تلك المشكلات ليؤكّد أن الغاية العظمى لا تنفصل عن حاجات الناس وحقوقهم.

وهذا ما يمنح الخطاب قيمته الفكرية والتربوية، إذ جمع بين استنهاض الوجدان والدعوة إلى العمل، وبين الثقة بالنفس وتحمّل المسؤولية.

أيها الرفقاء،

إنّ أمتنا السورية تواجه تحدّيات كبيرة، وهي تحتاج إلى قوميين اجتماعيين يرتفعون إلى مستوى قضيتهم، ويضعون قدراتهم وخبراتهم وإرادتهم في خدمتها. تحتاج إلى عقول واعية، ونفوس مؤمنة، ومؤسسات فاعلة، وإلى رجال ونساء يعرفون الغاية ويعرفون الطريق إليها.

فلنتذكّر دائمًا أنّ الغاية التي جمعتنا أعظم من مواقعنا، وأبقى من خلافاتنا، وأسمى من مصالحنا الفردية.

وإذا أردنا أن نكون جديرين بالنهضة السورية القومية الاجتماعية التي نحمل رسالتها، فعلينا أن نرتفع بأعمالنا ومواقفنا إلى مستوى الغاية العظمى التي آمنّا بها، وأن نثبت أن إيماننا ليس كلامًا نردّده، بل إرادة واعية تعرف طريقها، وتعمل وتصنع المستقبل.

ثقافة

من كان آشوربانيبال، آخر ملوك آشور العظماء؟

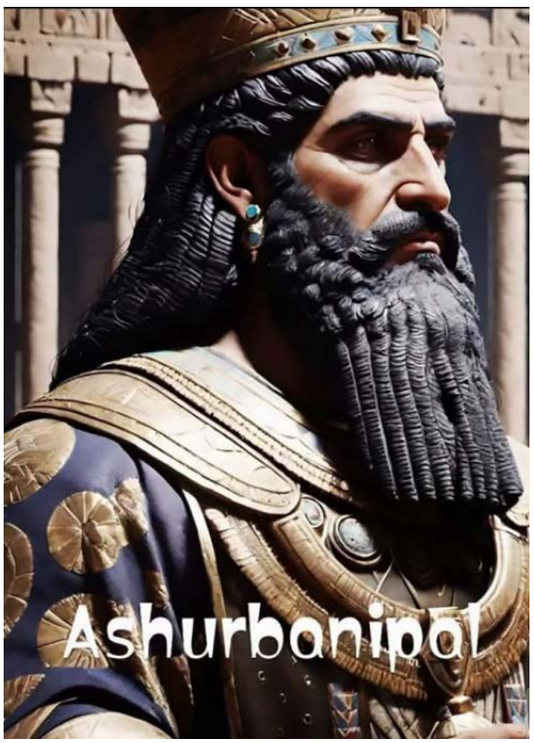
أنطوان يزبك

في عهد آشوربانيبال، آخر ملوك الإمبراطورية الآشورية العظام، سيُولد كنزٌ لا يُقدّر بثمن وهو: مكتبة نينوى، التي كانت تحوي ذاكرة البشرية المعروفة آنذاك. كيف عاش هذا الاستراتيجي اللامع، الدبلوماسي، والعالم المتقن والمهذب؟

تقدم لنا الإجابات؛ جوزيت إيلايي، مؤرخة العصور القديمة ومؤلفة كتاب «آشوربانيبال ـ الملك الآشوري خلف أسطورة ساردانا بال» الصادر عن دار بيرين.

كانت آشور أول إمبراطورية معروفة في العصور القديمة، آلة حرب استثنائية، إمبراطورية منظمة ومدارة بإحكام، ولكنّها اختفت فجأة. بدأت في عام 745 قبل الميلاد، واستمرت 135 عامًا حتى عام 610 قبل الميلاد، وامتدّت من البحر المتوسط إلى الخليج العربي.

تقول جوزيت إيلايي: «على الرغم من أن آشوربانيبال بلغ بمملكته أقصى اتّساع وثروة، إلا أنه ومن المفارقات، عند وفاته في عام 631، لم يبقَ للإمبراطورية سوى 20 عامًا لتعيش. وهذا أمر يصعب تفسيره للغاية».



كان والد آشوربانيبال، آسر حدون، يعاني من مرض الذئبة الحمامية الجهازية، وهو مرض يتسم بنوبات كانت تمنعه غالبًا من ممارسة الحكم. تقول المؤرخة: «لكن هذا لم يمنعه من القيام بالعديد من الحملات وإنجاب عدد كبير من الأطفال. لقد تم تحديد 17 ابنًا على الأقل. ولا نتحدث عن البنات لأن عددهن كان كبيرًا أيضًا. إنه شخص نشط للغاية وقد نجح في غزو مصر».

وتلاحظ المؤرخة أيضًا أن كلًا من الجدة ناقيا ـ زاكوتو والأب آسر حدون أرادا منح

آشوربانيبال أفضل تعليم: «كان التعليم الأولي للطفل يتم في المعبد. ثم، مثل جميع المثقفين في عصره، تلقى تعليمه ليس في مدرسة، بل مع مدرسين خصوصيين». كانت المرحلة الأولى تتكون من تعلم القراءة، والكتابة، والحساب والكهانة. أما المرحلة الثانية فكانت تتعلق بتوجّه أكثر تخصصًا. «كان آشوربانيبال مولعًا جدًا بالكهانة وفك رموز الكتابات القديمة، وخاصة السومرية التي كانت تنتمي إلى حضارة منقرضة، ولكنها متألقة للغاية».

من ناحية أخرى، وكما تروي جوزيت إيلايي، فإن من سيؤول إليه العرش، على الرغم من أنه لم يكن الإبن البكر في العائلة، قد تلقى أيضًا تدريبًا على فنون الحرب والقتال، «وجميع أنواع التمارين البدنية، مثل قيادة عربة حربية مع رامٍ عليها. كان يشغل تباعًا جميع المناصب، لأنه كان عليه أن يعرف كيف يعمل الجندي البسيط ليتمكن لاحقًا من قيادته بشكل أفضل. بل إنه تعلم صناعة الأسلحة والدروع».

وكمثل جميع الملوك الآشوريين، كان من المحتمل أن يكون لآشوربانيبال بيت حريم على الرغم من أنه أظهر أيضًا الكثير من المودة لزوجته. تفسر جوزيت إيلايي: «تُصوَّر ليبي ـ آلي ـ شارات على أنها رشيقة للغاية، تمسك بيدها زهرة، وهو يمنحها امتيازات». وإذ كان يرى نفسه بمنزلة عالية جدًا، كان آشوربانيبال يمتدح بطولته ويعتبر أن الآلهة منحته كل الصفات. تستشهد المؤرخة في هذا السياق بصفات ضرورية للقيادة، مثل «الذكاء، والنزاهة، والعدالة»، لكنها تشير أيضًا إلى نوبات الاكتئاب التي كان يعاني منها وشكواه إلى الآلهة. وهكذا، اكتشف علماء الآثار «اللوح الوحيد الذي كتبه بخط يده، كأنه مذكرات شخصية، حيث يظهر متأثرًا للغاية، وهو يمر بنوع من الاكتئاب».

ورغم لحظات الضعف هذه، فقد تقبل دوره ورسالته كفاتح وقائد للإمبراطورية الآشورية. «ولكن ما كان يفضله قبل كل شيء هو المعرفة والتفرغ لها».

من بين الحروب التي خاضها آشوربانيبال نجد صراعًا أخويًا وانفصاليًا استمر مدة أربع سنوات وانتهى بحصار بابل.

كان أخو آشوربانيبال شمش ـ شوم ـ أوكين، ملك بابل، يشعر بالغيظ من الإهانات والتدخلات المستمرة من قبل أخيه ملك آشور. فجمع حوله تحالفًا سريًا من الحلفاء. وبعد استنفاد الوسائل، أُجبر آشوربانيبال على إطلاق جيوشه في حملة عسكرية ضد شقيقه، استمر الحصار أربع سنوات وكان مروعًا.

على الرغم من أن عهد آشوربانيبال كان مليئًا بالحروب المتواصلة، إلا أنه بمجرد استعادة السلام، عاد وكرّس نفسه لمهمته الملكيّة الأخرى وهي: مهمة الملك الباني.

قام آشوربانيبال، ولقبه الملك الباني،

بأعمال وإصلاحات وبناءات في نينوى ومدن آشورية أخرى وفي بابل على حدّ سواء. لكن تبقى أعظم إنجازاته مكتبته الشهيرة في نينوى. لم تكن الفكرة ثورية، لكنه دفع هذا المشروع إلى أبعد من أسلافه: كانت أمنيته أن يجمع كل معارف البشرية في مكان واحد.

تشرح المؤرخة جوزيت إيلايي إنجازاته على الشكل التالي: «لقد فعل ذلك بطريقة منهجيّة للغاية، إذ كان يرسل مبعوثين إلى كلّ أرجاء إمبراطوريته لجمع الألواح، ولكنه كان يعوّض أصحابها. ثم كانت تُصنف وتُنظم بشكل جيد جدًا».

تم نقل حوالي 30 ألف لوح، بما في ذلك أشهر الألواح الطينية من ملحمة جلجامش، إلى المتحف البريطاني في القرن التاسع عشر. وإذا كان جزء كبير من هذه المعرفة القديمة لا يزال غير مترجم حتى اليوم، فمن المتوقع أن يعمل الذكاء الاصطناعي على تسريع هذا العمل الجبّار.

تضيف المؤرخة أيضا أن أسطورة هذا الملك، انتشرت في سياق الخلاف بين آشوربانيبال وأخيه شمش ـ شوم ـ أوكين: لقد أثار معاصروه إعجابًا شديدًا لدرجة أن الناس بدأوا يروون القصص. هذا لا يعني أنه لم يكن هناك ملوك يشبهونه بين الخلفاء، لأن لدينا نقوشًا قليلة جدًا حول هذه المسألة.

في نهاية عهد آشوربانيبال، تناولت حكاية آرامية، «قصة الأخوين»، الصراع الأخوي بشكل خيالي. كما ظهرت روايات أخرى في الكتاب المقدس. تؤكد جوزيت إيلايي: «هناك رواية في سفر عزرا مختلفة. إنها تخلط كل شيء. ولكن دائمًا **شخصية ساردانا بال التي تُسمى أسنا بار في الكتاب المقدس، ويُخلط بينها وبين آشوربانيبال».**

كما تناول المؤرخ القديم هيرودوت الشخصية أيضًا. وروى كتسياس من كن يدوس، في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد، وهو طبيب يوناني عمل في بلاط فارس، روايته الخاصة. وفي العصر الأقرب إلينا، جعل الشاعر الإنجليزي بايرون، في القرن التاسع عشر، من هذا الملك بطلًا رومانسيًا ملعونًا. ولا ننسى اللوحة الشهيرة للرسام الفرنسي ديلاكروا، «موت ساردانا بال»، الموجودة في متحف اللوفر.

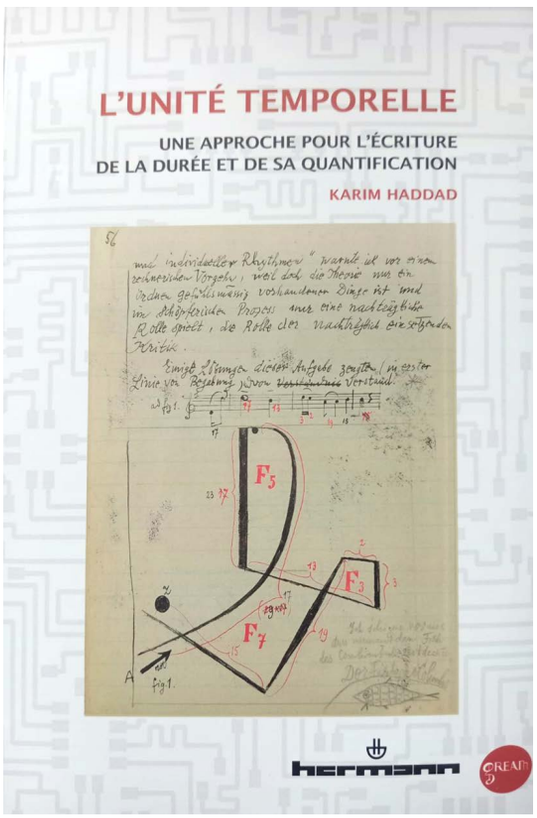
لا ريب في أن هذا الملك الآشوري، ترك أثرا في التاريخ امتدّ على مدى قرون وبقي في أذهان الكتّاب والشعراء والفنانين إلى يومنا الحاضر، فعظمة الحضارة الظاهرة في العمارة والفنون والآداب لا يمكن تجاهلها أبدا خاصة في مسألة تأسيس مكتبة تحتوي على فكر البشريّة بأسره في تلك الحقبة فأنجز مشروعا خلّد اسمه عبر التاريخ .

كتاب

كتاب د. كريم حداد بالفرنسية حول الوحدة الزمنية

محمود شريح

د. كريم حدّاد، مواليد بيروت 1962، في كتابه بالفرنسيّة **الوحدة الزمنيّة: مقاربة من الكتابة عن المدّة وقياسها الرقمي L'UNITÉ TEMPORELLE UNE APPROCHE POUR L'ECRITURE DE LA DUREÉ ET DE SA QUANTIFICATION** الصادر في باريس عن Herman في 393 صفحة من القطع الكبير وغلاف أنيق لـ Paul KleeK، **والكتاب أطروحته المرفوعة إلى جامعة السوربون لنيل شهادة الدكتوراه**، مُنصرفاً إلى التأليف الموسيقى وأبحاثه، ولا عجب فجدّه لوالدته، ندى، البير أديب، أصدر مجلّته الراقية **الأديب** من 1942 إلى 1983، ووالد جدّته لوالدته، كامي شلفون، اسكندر بطرس شلفون كان أصدر في القاهرة عام 1920 **الموسيقى المصريّة** وحرّر مجلّة **روضة البلابل** لعلّها أوّل



مجلّة عربيّة تعنى بالموسيقى، أصدرها عن معهده الموسيقي «روضة البلابل» في القاهرة. أمّا والده سعد حدّاد فله مباحث في الفيزياء، سيّما مفهوم الزمان، ومن هنا كتابه عن موسيقى الوِحدة الزمنيّة.

رفع كتابه د. حدّاد إلى ذكرى زوجته مليكة سماطي حدّاد وافتتحه بمقولة من ميشيل بوتور من كتابه عن بروست Les

oeuvres d'art imaginaires chez Proust (London, 1964)، وقدّمه له Carlos Agon من المعهد الفرنسي للبحث العلمي والتأليف الموسيقي التابع لمركز بومبيدو، وهو المعهد نفسه الذي ينتمي إليه د. حدّاد ويُشرف فيه على البحث والتطوير ضمن فريق الإنشاء الموسيقي في المعهد نفسه.

في تقديمه كتاب د. حدّاد يشير Carlos Agon إلى أنّ هذا الكتاب مرجعي من حيث أنّ صاحبه طوّر مفهوم نظام الإيقاع الموسيقي بارتكازه على تصوّر الوحدة الزمنيّة فأحال المجرّد إلى ملموس والمهموس إلى شكل موسيقي يحيي تجربة التأليف الموسيقي.

من إدراكه مقولة هيراقليطس انّه لا يمكن عبور النهر نفسه مرّتين لجريان مائه يعلن د. حدّاد منذ مطلع كتابه أنّ غرضه عقد مقاربة عينيّة لكتابة الزمن الموسيقي انطلاقا من تصوّره لمفهوم الإيقاع والنغم وقياسهما. يتكئ د. حدّاد على النوتة فهي مقياس الزمان الموسيقي، وعليها ينهض، كما حبّة خردل تطلق فروعها في المكان، فالزمان سيّد الأحكام في جريانه كما الوردةُ في تفتّحها، رغم قصر حياتها، تحاكي النوتة في انغلاقها، وعليه فالشكل ضمان حركة النوتة، والنوتة أساس كتابة الإيقاع، ومن هنا الزمان قياساً، ولهو في آن قماشة اللحن، أي جدليّة الإيقاع والزمن، أي كينونة النغم. ومن البديهي لجوء د. حدّاد إلى احتراف التأليف الموسيقي منذ صباه في أميركية بيروت، عازفاً ومُنشئاً، دارساً الفلسفة ناهلاً من حواريات أفلاطون ما أفادَ توجّهه الجمالي في كتابه المرجعي الصادر من باريس، برهاناً على موسيقى الروح الوافدة من مزمار شقّ من خشب سنديان الجبل المُلهِم. ولعلّ في عمّ البير أديب، جدّ كريم، أوغست باشا أديب، أول رئيس وزراء في لبنان بدءاً من 1926، في كتابه بالفرنسيّة **Le Liban après la guerre** الصادر في باريس عام 1918، ترْجمَه الشيخ فريد حبيش **لبنان بعد الحرب** (القاهرة، 1919)، صلةَ وصل بدير القمر، وفي مؤلّف والده سعد حدّاد من عبيه عن تصوّر الزمان الفيزيائي ما رفد كريم إرثاً زمان الموسيقى ونوتته.